بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد السابع ـ ذي الحجة ١٤٢٨هـ / كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٧م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 88321616 9821+ هاتف: 88321411 9821+ـ3

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد السابع

عطاء الحج ٤

نداءات القرآن ٧

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٤

السيد محسن الأمين العاملي ٢٨

أهداف الزهد في الإسلام ٣٨

المثقفون وعلم أصول الفقه ٤٤

الاختلاف الفقهي أسبابه والموقف منه ٥٠

قضايا العقيدة والتواصل المعرفي ٥٩

الحوار الداخلي أولى ٧٠

سؤال بشأن الإمام الحاكم ٧٣

التقريب بين المذاهب الإسلامية في ظل إطار جديد ٨٤

أمل وعنفوان ٩١

شبهات حول العلاقات العربية الإيرانية في العصر العباسي ٩٤

موضوعات الساعة ١٠٦

عطاء الحج

* محمد محمد المدني

يصدر هذا العدد ... وأفئدة المسلمين في كل شعب تهوي إلى وفد الله من الحجاج والعمار والزوار، أولئك الذين سمعوا رنين الأذان الذي صدع به رسول الله إبراهيم، تلبية لأمر الله عزوجل حيث يقول: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾.

لقد سَرَت هذه الدعوة في أعماق التاريخ مسرى الدماء، من الآباء إلى الأبناء، حتى جاء خاتم النبيين فقررها بأمر الله ركناً من أركان دينه الحنيف، وجعلها شعيرة مفروضة إلى يوم الدين: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

إن أركان الإسلام كلها توحي بوجوب التضامن والالتفاف حول غرض شريف واحد: فالشهادتان هما قلب الإيمان وأساس التوحيد والوحدة، وعنوان اتفاق كلمة المسلمين على أنه ليس لهم إلا إله واحد، ورسول واحد. والصلاة تطبيق روحي لهذا الإيمان،

---

* ـ عالم أزهري من كبار دعاة التقريب. كان ـ رحمه الله ـ رئيس تحرير مجلة "رسالة الإسلام" القاهرية.

لأنها اتجاه إلى الله، وحمد له، ودعاء لرسوله وآل رسوله وعباد الله الصالحين. والصوم مظهر من مظاهر إيثار الإله الحق بالانخلاع له من الشهوات والرغبات ومظهر من مظاهر الوحدة الرائعة، يجمع المسلمين حيثما كانوا بجامعة سارية فيهم طول ليلهم ونهارهم. والزكاة تضحية لله، توحي بما يريده لعباده من التعاون والترابط وأن يكونوا جميعاً أجزاء لبنيان واحد، أو أعضاء لجسد واحد.

أما الحج فإنه لباب ذلك كله، إنه كالخلاصة المركزة لجميع العناصر التي يقوم عليها بناء الإسلام، ويحيا بها المسلمون حياة العزة والكرامة.

إن المسلمين جميعاً، لا فرق بين شعب منهم وشعب، ولا بين طائفة وطائفة، يخرج الألوف منهم عن أوطانهم، تاركين الإقليمية وراءهم، إلى إقليم واحد جعل الله فيه مناسكهم، لا يشعر الواحد منهم إلا بأنه مسلم يدين بالله رباً، وبمحمد نبياً ورسولا، وبالقرآن حاكمًا وإمامًا، وبالكعبة مصلى وقيامًا، ويلتقي شرقيهم وغربيهم وعجميهم وعربيهم، في رحاب هي لهم جميعاً، لأن فيها مقدساتهم ومنابع تاريخهم، ومشارف عزهم، ويبكون فرحًا وهم عليها مقبلون، وأسفاً وهم عنها مرتحلون.

هل يذكر السنيُّ ـ وهو في هذه الرحلة الروحية، وأمام هذه المشاهد القدسية ـ أنه سني؟ وهل يذكر الشيعي أنه شيعي؟ أم هم

جميعاً مسلمون قرآنيون، بسنة محمد عاملون، وعلى محبة محمد وآله منطوون؟.

هل للسنة هناك بيت يطوفون به وللشيعة بيت؟ هل لهؤلاء مسعى ولأولئك مسعى؟ هل تقف طائفة في هذه الناحية من عرفات وطائفة في تلك؟ هل يعتقد السني وهو أمام القبر الطاهر أن هذا الرسول بعث إليه وحده من دون أخيه الشيعي؟ أو هل يعتقد الشيعي وهو أمام المزارات المعظمة لآل رسول الله الأطهار وصحبه الأبرار، أن هؤلاء الأبطال هم مَثَلُه هو من دون أخيه السني؟.

كلا إنهم جميعاً يحرمون إحراماً واحداً، ويطوفون طوافًا واحدًا، ويقفون بعرفة، وينزلون بمزدلفة، ويرمون الجمار، وينحرون، ويذبحون، ويقصدون إلى مسجد الرسول مشتاقين، ويقفون أمام جدثه الطاهر خاشعين، ويزورون آله وصحبه معتبرين.

* * *

رباه! هل ظنّ المسلمون أنك أردت لهم هذه الوحدة في مظهرها الرائع حين يحجّون، ثم أبَحْتَ لهم أن يتفرّقوا شذرَ مذرَ وهم إلى أهلهم راجعون؟ " سبحانك هذا بهتان عظيم، ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

نداءات القرآن

* محسن قراءتي

١٣- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ

النداءات

تبقى دعوة أولياء الله وإرشادهم المنافقين دونما تأثير: ﴿قالوا: أنؤمن﴾.

- المنافقون يشعرون بالاستعلاء على المؤمنين وتفوقهم عليهم، ولذلك يمارسون أسلوب انتقاص المؤمنين: ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾؟!
- المسلمون يجب أن لا يحزنهم هذا الانتقاص لأنه صادر عن سفهاء جهلة: ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾.
- السفاهة في المفهوم القرآني هي التعنّت أمام كلمة الحق.
- لابد من كسر غرور المنافقين وتكبرهم.
- من الضروري الكشف عن الوجه الكاذب للمنافقين أمام المجتمع الإسلامي.
- أبشع أنواع الجهل هو أن يجهل الجاهل بأنه جاهل.

---

* - سماحة الشيخ محسن قراءتي داعية إسلامي معروف.

١٤- وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ

النداءات

● الشيطان من كلمة شطن أي ابتعد عن الخير، وتطلق أيضًا على الإنسان المنحرف عن طريق الحقّ، وعلى من يُلقي الانحراف في المجتمع.

● المنافق انتهازي يميل مع الريح حيث تميل: ﴿قالوا: آمنا﴾ ﴿قالوا إنا معكم﴾ .

● لا يجوز الثقة التامة بمن ادعى الإيمان، ولابد أن نحذر من الاختراقات.

● المنافق ليست له شهامة التعامل بصدق، ويخشى من المؤمنين ولذلك يلتقي بالكفار خفية: ﴿خلوا إلى شياطينهم﴾

● بين الكفار والمنافقين ارتباط تنظيمي يتلقى المنافقون من خلاله توجيهات قوى الكفر : ﴿خلوا إلى شياطينهم﴾

● تظاهر المنافقين بالإيمان بينته الآية بجملة فعلية: ﴿آمنّا﴾ ولها دلالة على الحالة الموقتة. وارتباطهم بالكفر بينته بجملة اسمية ﴿إنا معكم﴾ دلالة على ثبات هذه الحالة وبقائها.

● اشتراك المنافقين والكفار ليس على الصعيد الفكري فحسب، بل أيضًا على مستوى التخطيط العملي، وهذا ما توحيه المعيّة في: ﴿إنا معكم﴾.

● من خصائص المنافقين استهزاؤهم بالمؤمنين : ﴿إنما نحن مستهزئون﴾

١٥- اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

النداءات:

- العَمَه مثل العمى، مع فارق أن العمى في البصر والعمه في البصيرة. فهؤلاء المنافقون يفتقدون قدرة الرؤية الحقيقية.
- عن علي بن موسى الرضا (ع) في تفسير هذه الآية إن الله لا يستهزئ ولا يمكر ولا يخدع، ولكن يجازيهم على استهزائهم ومكرهم ومخادعتهم. وأي عقاب أكبر من أن يَدَعهم في طغيان وعَمَهٍ، وفي ذلك تضييع لشخصيتهم الانسانية، وابتعادهم عن كلّ سموّ وتكامل.
- المنافقون يمارسون لونين من السلوك، ولذلك يُعامَلون بلونين من الإجراء. لهم في الدنيا أحكام المسلمين وفي الآخرة ينالون عقاب الكفّار.
- العقاب الإلهي يتناسب مع نوع الذنب. مقابل: ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ يأتي: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ .
- المنافقون يحادّون الله لا المؤمنين (فهم يستهزئون بالمؤمنين، لكن يتولى الله أمر الاستهزاء بهم).
- لا مانع من الاستهزاء بالمستهزئين، مثل التكبر على المتكبرين: ﴿الله يستهزئ بهم﴾
- لا يجوز الاغترار بإمهال الله وعظم عفوه: ﴿يمدّهم في طغيانهم﴾

- الطغيان يمهّد لعمى القلب: ﴿في طغيانهم يعمهون﴾

١٦- أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ

النداءات

- الآية تتحدث عن هداية كانت عندهم فاستبدلوا بها ضلالة، بينما المنافقون لم يكونوا يومًا على هدى. لعل المراد من الهدى في الآية، الهداية الفطرية وعوامل الهداية التي يسّرها الله سبحانه للإنسان. نرى نظير ذلك في قوله سبحانه: ﴿اشتروا الكفر بالإيمان﴾ و﴿اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ .
- المنافق لا يعرف نفعَه من ضُرّه، ولا ربحه من خسارته ولذلك فإن صفقتهم خاسرة: ﴿اشتروا الضلالة بالهدى﴾ .
- الإنسان حرّ ومختار، لأن الصفقة وراءها عزم وإرادة.
- الدنيا سوق والناس فيها متاجرون، والبضاعة أعمالهم واختيارهم : ﴿اشتروا ... فما ربحت تجارتهم﴾ .
- عاقبة المؤمن الهداية: ﴿على هدىً من ربهم﴾ وعاقبة المنافق الانحراف: ﴿وما كانوا مهتدين﴾ .
- المنافقون، بهذه الآية والآيات التالية، لا يبلغون أهدافهم: ﴿وماكانوا مهتدين﴾ .

١٧ـ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ

النداءات:

● المَثَلُ له دور مؤثر في التفهيم. فهو يقدم الأمر المعقول بشكل محسوس، وبذلك يقرّب فهم الموضوع من عامة الناس، ويرسّخ القناعة ويُلجم اللجاج، وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة نظير تشبيه الحق بالماء والباطل بالزبد (الرعد/ ١٧)، وتشبه الحق بالشجرة الطيبة والباطل بالشجرة الخبيثة (إبراهيم/٢٦) وتشبيه أعمال الكفار برماد اشتدت به الريح (إبراهيم/ ١٨) وتشبيه أعمالهم بسراب (النور/٣٩) وتشبيه الأصنام والطواغيت ببيت العنكبوت (العنكبوت/٤١)، وتشبيه العالم بدون عمل بالحمار يحمل أسفارًا (الجمعة/٥) وتشبيه الغيبة بأكل لحم الأخ الميت (الحجرات/١٢).

وهذه الآية تشبّه أوضاع المنافقين بأنهم يوقدون نارًا لكن الله سبحانه يذهب بنورهم ويتركهم في دخان ورماد وظلام.

● عن الإمام علي بن موسى الرضا(ع) أن معنى الآية هو أن الله يتركهم وحالهم.

● المنافق من أجل أن يصل إلى النور، يستوقد النار التي

تنطوي على رماد ودخان وحرقة.

- نور الدين الإلهي عالمي، لكن النور الذي يتظاهر المنافقون في ظله بالإسلام لا يتجاوز ﴿ما حوله﴾ ولا يدوم طويلاً.
- من لا يحظى بالنور يَعِش في ظلمات عديدة: النور في الآية بصيغة المفرد والظلمات جمع.
- ما يبيّته المنافقون لا يتحقق بإذن الله: ﴿ذهب الله بنورهم﴾.
- الله سبحانه يتولى أمر المنافقين:﴿ذهب الله بنورهم﴾ .
- مصير المنافقين ظلمات: ﴿في ظلمات﴾ .
- المنافقون يعيشون حالة تخبّط واضطراب في تخطيطهم المستقبلي: ﴿في ظلمات لا يبصرون﴾ .
- لا يبعد أن تكون كلمة ﴿بنورهم﴾ في الآية هذه وكلمة ﴿لا يرجعون﴾ في الآية التالية تعنيان أن المنافقين كان لهم في البداية نور وإيمان، لكنهم انحرفوا بالتدريج ولم يعودوا قادرين على الرجوع إلى ما كانوا عليه.

١٨- صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ

النداءات

- القرآن الكريم في مدحه بعض الأنبياء يقول: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ لعل المقصود من الآية أنهم أصحاب يد تهشّم الأصنام وأصحاب عين

ترى الله سبحانه، والمنافقون يفتقدون وسائل المعرفة، فهم ناقصون في شعورهم وفي علمهم وفي بصيرتهم وفي منافذ معرفتهم: ﴿لا يشعرون . مايشعرون . لا يعلمون . لا يبصرون . يعمهون . صم . بكم . عمي. لا يرجعون﴾ .

- النظر غير البصر، والقرآن يقول: ﴿تَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ .

- فقدان منافذ المعرفة ووسائلها يساوي التخلي عن الخصائص الإنسانية يقول سبحانه: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

- جزاء من كان في هذه الدنيا أعمى وأبكم وأصمَّ أن يحشر في الآخرة على هذه الحالة: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾

- النفاق يصدّ صاحبه عن فهم الحقائق الإلهية: ﴿صم بكم عمي﴾

- من لم يستفد من هبات الله على طريق الحقّ كمن كان فاقدًا لهذه الهبات والنعم : ﴿صم بكم عمي﴾ .

- غياب الحق عن أعين المنافقين له عاملان: ظلمات خارجية: ﴿في ظلمات ﴾ والآخر فقدان منافذ المعرفة : ﴿صم بكم عمي﴾.

- المنافقون أبدًا في عناد ولجاج : ﴿فهم لا يرجعون﴾ .

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

من نداءاته في مواسم الحج

• إثـــارة روح العـــزّة تميّـــز خطـــاب كـــل الإحيـــائيين الإســـلاميين • الإمام الخامنئي يفرّق بين الإسلام الأصيل والإسلام الأمريكي ويرى أن الإسلام الأصيل هو إسلام العزّة وحماية المحرومين • يرى أن الحج الإبراهيمي ما اقترن بالارتباط بالله والإعراض عن قدرة الطواغيت • لاعزّة للمسلمين إلاّ تحت راية النظام الإسلامي • السيطرة على المسلمين تبدأ بتضعيف روح العزّة في نفوسهم • معالم الحرمين الشريفين تستثير روح الكرامة في النفوس • الإسلام أفضل ضمان لنجاح إدارة الشعوب الإسلامية • الاختلاف الطائفية والقومية بدأت على يد المستعمرين وتتواصل على يد أبناء جلدتنا.

نداءات الحج التي يبعثها العبد الصالح الإمام الخامنئي إلى المسلمين عامة والى حجاج بيت الله الحرام خاصة في مواسم الحج تستهدف إثارة روح العزّة في نفوس المسلمين وإبعادهم عن الإحساس بالذل والهوان.

وهذه ظاهرة هامّة جداً في خطاب القيادة الإسلامية في إيران، تتجلّى بشكل بارز في أحاديث الإمام الراحل السيد الخميني(رض) وتتواصل بصورة واضحة في خطاب خلفه.

وقفت عند هذه الظاهرة طويلا، ووجدت أنها تميّز خطاب كل الإحيائيين الإسلاميين، بل كل الحريصين على اعتلاء مكانة أمتهم على ظهر الأرض. وألفيت أنها ظاهرة فطرية لدى الكائن الإنساني الحيّ. فالإنسان الحيّ منشدّ بفطرته إلى العزّة، ويكدح لاستحصالها، لأنه كادح إلى ربّه، وربه عزيز، وإنما يصاب الكائن البشري والمجموعة البشرية بالذلّ إما لفقدان خصائص الحياة، أو لسلوك طريق مضل ينتهي إلى عزّة سرابية.

والإسلام دعوة إلى الحياة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾.

من هنا لا يمكن للإنسان المسلم أن يكون ذليلا قط: "إن الله فوض إلى المؤمن أمره كله، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلا".

وأصل "العزة" هذا مشهود في كل تعاليم الإسلام الفردية والاجتماعية.. غير أنه منسّي مع الأسف بسبب هبوط علامات الحياة في الأمة المسلمة، وأينما وجدت علامة للحياة تتمثل في الحركة والنهوض والعودة إلى الله والعودة إلى الذات، تجد أيضًا دعوة إلى العزة والكرامة، ورفضًا للذل والخضوع والاستسلام.

وفي نداءت الإمام الخامنئي هذه تتخذ الدعوة إلى العزّة أبعادًا مختلفة نشير إلى بعضها:

الإسلام المحمدي دين العزّة

ذكرتُ أن مظاهر الحياة حين تضمر في المجتمع تضمر معها مظاهر العزّة، وتتأطر كل الظواهر في ذلك المجتمع بإطار من الذل والاستكانة والهزيمة. حتى الدين في مثل هذا المجتمع يفرغ من محتواه الحياتي ويصبح غير قادر على الدفع والتحريك وتفجير الطاقات. ومثل هذا الدين تروّج له كل قوى إذلال المسلمين، وأطلق عليه الإمام الراحل اسم الإسلام الأمريكي، على عكس الإسلام الاصيل المحمدي الذي لا ينفك عن العزّة. الإمام الخامنئي يركز في أحد نداءاته على مفهوم هذا الإسلام الأصيل إذ يقول:

"وهنا يظهر بوضوح ذلك التقسيم الصارم الذي أعلنه إمامنا الفقيد.. ذلك الداعي إلى الله والذائب في الله.. بين الإسلام الأصيل المحمدي(ص) وبين الإسلام الأمريكي. الإسلام الأصيل المحمدي إسلام العدل والقسط.. إسلام العزّة.. وإسلام حماية الضعفاء والحفاة والمحرومين.. إسلام الدفاع عن حقوق المظلومين والمستضعفين.. إسلام الصمود أمام المعتدين وعدم مداهنة المتغطرسين والمتفرعنين.. إسلام الأخلاق والفضيلة والسموّ المعنوي" (من ندائه عام ١٤٠٩هـ).

العزّة بالله لا بغيره

قد يتحرك الإنسان نحو سراب يخال فيه عزّته و"يحسبه

الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا" وقد يرى في طواغيت الأرض مصدرًا للعزّة : ﴿وقالوا بعزّة فرعون إنّا لنحن الغالبون﴾، وقد يراها في أعداء الدين: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. أيبتغون عندهم العزّة فإن العزّة لله جميعا﴾.

وقادة الدين يوجهون الأمة نحو مصدر عزّتهم، ويهدونهم نحو العزيز المطلق، الذي له العزّة جميعًا. ولا يكاد يخلو نداء من هذه النداءات من هذه الهداية وهذا التوجيه. يقول:

"الحج الإبراهيمي والمحمدي(ص) والحج العلوي والحسيني(ع) هو ما اقترن بالارتباط بالله والركون إلى حكومته وقدرته مع الإعراض عن قدرة الطواغيت والجبابرة. ما أجمل ترتيل سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة (الحسين بن علي(ع)) وهو يناجي ربه في عرفات حيث يجمع ذلكما الارتباط والإعراض في قوله: "الهي أنت كهفي حين تعييني المذاهب في سعتها.. وأنت مؤيدي بالنصر على أعدائي، ولولا نصرك إياي لكنت من المغلوبين.. يامن جَعَلتْ له الملوك نيرَ المذلّة على أعناقهم فهم من سطوته خائفون..." (من ندائه سنة ١٤٠٩هـ).

العزّة في ظلال حاكمية الدين

محاولات المصلحين في عصرنا الحديث لإنقاذ العالم الإسلامي كثيرة.. والإحباطات كثيرة أيضًا. عوامل الفشل تكمن غالبًا في

أطروحات هؤلاء المصلحين. فهي إما بعيدة عن المزيج الحضاري لهذه الأمة، أو لا تنظر إلى الإسلام نظرة شمولية مستوعبة لجوانب الهدم والبناء. والإمام الخامنئي يركز في نداءاته على أن استعادة العزة لا تتحقق إلا في ظلال حاكمية الدين بمعناه الشامل.. أي رفض حاكمية الطاغوت (لا إله) وتقرير حاكمية رب العالمين (إلا الله) يقول:

"أتوجه بالخطاب أيضا إلى الشعوب الإسلامية وأبناء الأمة الإسلامية فرداً فرداً وأقول: علاج كل مايلم بالأمة من آلام وإحباطات يتمثل في العودة إلى الإسلام، والانضواء تحت لواء النظام الإسلامي والأحكام الإسلامية. وبذلك يستطيع المسلمون أن يستعيدوا عزتهم وشوكتهم وتمتعهم بمعيشة مرفهة آمنة، وأن يبتعدوا عن المصير المر المذلّ الذي تسوقهم إليه دوائر التخطيط الاستكباري" (من ندائه عام ١٤١٢هـ).

وبعد أن يستعرض المواقف العدائية للإسلام على الساحة العالمية يقول:

"هذه صورة مقتضبة عن عداء الغرب وأمريكا للإسلام والمسلمين في عصرنا. لا الاستعطاف ولا الاستسلام ولا المحادثات ولا أيّ طريق من الطرق التي يقترحها البعض عن بساطة على المسلمين تستطيع أن تعالج الداء وتنقذ المسلمين. العلاج يكمن في شيء واحد دون غيره: اتحاد المسلمين، والتمسك بالإسلام وقيمه

ومبادئه، والمقاومة أمام الضغوط، وتضييق الساحة ـ في المدى البعيد ـ على الأعداء.

والعالم الإسلامي اليوم ينظر بعين الأمل إلى الشباب الغيارى المعبئين في جميع أرجاء العالم الإسلامي ليدافعوا عن كيان الإسلام ويؤدوا دورهم التاريخي" (من ندائه عام ١٤١٣هـ).

العزّة في ارتباط الأمة بجذورها

العودة إلى الذات مقدمة هامة لاستعادة العزّة، لأنها مقدمة لتبلور الشخصية المستقلة للفرد وللأمة، وللتخلّص من الذوبان والتمييع الحضاري. لذلك نجد في النداءات دعوة إلى الارتباط بالجذور، من أجل صيانة شخصية الأمة من الغزو الثقافي والمسخ الحضاري يقول:

"والمسألة الثانية التي ينبغي التفكير فيها وخاصة في هذه الظروف الزمانية والمكانية مسألة: ارتباط الأمة الإسلامية بتاريخها وأيضًا بمصيرها الذي يجب أن تقرره لنفسها.

سعى الاستعمار منذ دخوله آسيا وأفريقيا أن يشوّه ماضي الأمة ويلقي عليه ضباب النسيان.

السيطرة على الذخائر المادية والإنسانية في البلدان الإسلامية وعلى مصير الشعوب الإسلامية هدف نشده الاستعمار المباشر وغير المباشر منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وهذا الهدف

كان يتطلب بشكل طبيعي كسر الإحساس بالعزة والشخصية بين الشعوب الإسلامية، وقطعها عن تاريخها العظيم بشكل كامل، لتتخلّى عن ثقافتها وأخلاقها وتصبح مستعدة لقبول الثقافة الغربية والتعاليم الاستعمارية. وهذه الدسيسة قد نجحت في الأجواء المساعدة التي كان قد وفّرها تسلّط الحكومات الفاسدة والمستبدة في البلدان الإسلامية، وبذلك هجم سيل الثقافة الغربية وكل المفاهيم التي كان الاستعمار يعتقد بضرورة ترويجها بين الشعوب الإسلامية لضمان سيطرته السياسية والاقتصادية على تلك الشعوب" (من ندائه عام ١٤١٣٣هـ).

ويدعو الحجاج إلى الارتباط بتاريخ الأرض التي يؤدون فيها نسكهم وزيارتهم، ففيها كل ما يذكرهم بعظمة ماضيهم، ويربطهم بسرّ عزّتهم وكرامتهم ، يقول:

"كل شبر من هذا التراب وهذه الأرض يحمل ذكريات عن عصر رسول الله(ص) وأصحابه المضحين النيرين.

في هذه الأرض بزغت شمس الإسلام وخفقت راية الجهاد وانبثق تحرر البشرية من أغلال الجاهلية وقيودها.

واليوم إذ اتجهت الشعوب المسلمة في جميع أرجاء العالم الإسلامي بعد قرون من الانحطاط والركود والذلّة نحو اليقظة والقيام لله سبحانه، وإذ يفوح في أجواء كثير من البلدان

الإسلامية عطر الحرية والاستقلال والعودة إلى الإسلام والقرآن، فإن المسلمين بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى أن يوثقوا ارتباطهم بماضيهم النير المعجز.. بعصر القيام لله وكفاح العصور الإسلامية الأولى.

الذكريات الإسلامية في هذه الأرض هي لكل مسلم متدبر بلسم شفاء ينجيه من الضعف والهزال واليأس والتشاؤم، ويشق أمامه الطريق للوصول إلى أهداف الإسلام، وهي نفسها أهداف الكدح والحياة كما يفهمها كل إنسان له نصيب من العمق والحكمة" (من ندائه عام ١٤١١هـ)

حثّ الحكومات على العزّة

للحكومات دون شك دور كبير في عزّة الأمة أو ذلّها. الحاكم المنحرف إما أن يطغى ويتفرعن فيستضعف شعبه ويذلهم ويستخفهم، وإما أن يحسّ بالضعف فيلجأ إلى الفراعنة ليجد في كنفهم عزّته وقوّته.. ويفتح بذلك السبيل لسيطرة أجنبية مذلة على أمته. والإمام القائد يدعو الحكومات لتعود إلى الإسلام ولتجد قوتها في كنف الدين الحنيف. يقول:

"الشعوب والحكومات تتحمّل مسؤولية مشتركة تجاه تصاعد الاتجاه نحو الإسلام الأصيل المحمّدي(ص)، الإسلام الذي يضع مسؤولية قطع نفوذ الشيطان الأكبر وبقية الشياطين عن حياة

الشعوب في رأس قائمة اهتماماته. وإذا كانت الحكومات الإسلامية تحمل ولاء لبلدانها وشعوبها فلتعلم أن هذا الإسلام الأصيل المحمدي هو القادر على ضمان حياة شريفة مستقلة للشعوب والبلدان، واقتدار وقوة للحكومات. أسال الله سبحانه وتعالى أن يمنّ على المسلمين في العالم باليقظة والشرف والعزة والنجاة من براثن الاستعمار والنصر في مواجهة أعداء الله" (من ندائه عام ١٤١١هـ).

ويقول: "أُهيب برؤساء البلدان الإسلامية أن يلتفتوا إلى ما عندهم من قدرة هائلة، ألا وهي قدرة الشعوب الإسلامية. فبمساعدة هذه القدرة الصلدة تستطيع الحكومات الإسلامية أن تقف بوجه القوة الأمريكية التي تتزعم اليوم جبهة الاستكبار المعادية للإسلام، وأن تدافع عن حق شعوبها وعن الشعوب المظلومة المسلمة. الإسلام أفضل ضمان لإدارة حياة شعب من الشعوب. في ظله تستطيع الشعوب أن تذوق شهد الحرية والاستقلال التام، وتتمتع بمعطياتها. والإيمان الإسلامي الراسخ في جميع أفراد البلدان المسلمة أعظم سند لتحقيق هذه الأهداف.

المؤمّل من الحكومات المسلمة أنها، بدلا من أن تساورها المخاوف والهواجس من الإسلام، وهي مخاوف وهواجس تسعى أمريكا وغيرها من زعماء الاستكبار حثيثًا إلى إلقائها في روع زعماء البلدان الإسلامية، بدلا من ذلك تنظر إلى هذا الدين الإلهي

باعتباره منقذًا لشعوبها، وعاملا على شدّ الشعوب المسلمة أعني أجزاء الأمة الإسلامية ببعضها، ومصدرًا تستمدّ منه مقومات العزة والمنعة. إنه أقوى وسيلة لكسب دعم الشعوب، والحكومة التي يساندها شعبها تستطيع أن تتحدى كل تهديد" (من ندائه عام ١٤١٢هـ).

ويقول: "كل ما يؤمّل من الحكومات المسلمة يمكن تحققه بإرادة وعزيمة شعوبها. فعليكم يا أبناء الشعوب الإسلامية أن تطالبوا حكامكم بالوقوف بوجه الصهيونية والاستكبار، وبالدفاع عن المسلمين المظلومين في أرجاء العالم، وبالتلاحم والتآخي مع سائر الشعوب والبلدان الإسلامية، وكونوا لهم على طريق تحقيق هذه الأهداف السامية سندًا حميمًا وباذلاً سخيًا.

عليكم أن تقنعوهم بالابتعاد عن الخوف من أمريكا بالوقوف بوجه تعنّتها وعليكم أن تفهموهم بأن الإسلام والقرآن هما الطريق الوحيد للإنقاذ، ووجهوهم إلى ذلك الحصن المنيع، حصن (لا إله إلا الله)" (من ندائه عام ١٤١٢هـ).

النهي عن التفرّق

التفرّق أكبر خطر يهدد عزّة الجماعة البشرية، ويذهب بريحها. الإسلام ركز على هذا المفهوم وحثّ بشدّة على الاعتصام بحبل الله وعدم التفرّق واجتناب التنازع، وكلّ المهتمين بكرامة

أمتهم يحرصون على وحدتها وتراصّ صفوفها. ونداءات السيد الإمام طافحة بالدعوة إلى الوحدة والنهي عن التفرق. يقول:

"والموضوع التالي يرتبط باتحاد المسلمين وتوحدهم، وهو ما يشكل مضموناً بارزاً آخر في مناسك الحج. منذ أن دخل الاستعمار الأوربي في البلدان الإسلامية كانت التفرقة بين المسلمين من المبادئ الحتمية في سياسة المستعمرين.. متوسّلين بسلاح الطائفية تارة وبالنعرات الإقليمية والقومية تارة، وبغيرها أحياناً. ومع كل نداءات المصلحين ودعاة الوحدة، فإن مدية الأعداء هذه لا تزال تنزل بجسد الأمة الإسلامية مع الأسف ضربات وجراحات. إثارة الاختلافات بين الشيعة والسنّة، والعرب والعجم، والآسيويين والأفارقة، وتضخيم القوميات العربية والطورانية والفارسية ـ وإن ابتدأت على يد الأجانب ـ فهي اليوم تستمر مع الأسف على يد أفراد من بيننا، يعبّدون طريق العدو عن سوء فهم أو عن عمالة للأجانب. هذا الانحراف يبلغ من الفظاعة أحياناً أن تنفق بعض حكومات المسلمين أموالا للتفريق بين المذاهب الإسلامية أو الشعوب والأقوام المسلمة، أو أن يعلن بعض أنصاف العلماء بصراحة فتوى تكفير بعض الفرق الإسلامية ذات الماضي الوضيء في التاريخ الإسلامي. يجدر بالشعوب المسلمة أن تتعرّف على الدوافع الخبيثة لهذه الإعمال، وأن ترى الأيدي التي وراءها.. يد الشيطان الأكبر وأيدي أذنابه، وأن تتصدى لفضح الخائنين" (من ندائه عام ١٤١٣هـ).

الحج منطلق العزّة

أبرز ظاهرة في نداءات الحج الموجهة من القيادة الإسلامية في عصر الإمام الراحل وخلفه التأكيد على الحج وعلى قدرة هذه الفريضة أن تتغلب على كل ضعف في المسلمين وأن تخلق كل مقومات عزتهم وكرامتهم.. وربّما تثير مثل هذه الأحاديث استغرابًا عند كلّ من يرى فريضة الحج بوضعها الحالي حيث تتوجه مجموعة من المسلمين كل عام لأداء نسكها وتعود إلى موطنها دون أن يتحرك ساكن في هذه الأمة. غير أن السيد القائد يرى أن هذا الحج ليس بالحج الصحيح.. لأن هذه العبادة الجماعية شرعت لتوثيق عرى الأمة، وترسيخ الهوية، واستعراض القوة، وتثبيت العزة يقول:

"الحج الصحيح يستطيع أن يحدث تغييرًا في المحتوى الداخلي لكل فرد من أفراد المسلمين. يستطيع أن يغرس في نفوسهم روح التوحيد والارتباط بالله والاعتماد عليه، وروح رفض كل الأصنام الداخلية والخارجية في وجود الكائن البشري، هذه الأصنام المتمثلة في الأهواء والشهوات الدنيئة والقوى الطاغية المسيطرة، يستطيع أن يرسّخ الإحساس بالقدرة والاعتماد على النفس والفلاح والتضحية. ومثل هذا التحول يستطيع أن يصنع من كل إنسان موجودًا لا يعرف الفشل ولا ينثني أمام التهديد ولا يضعف أمام التطميع.

والحج الصحيح يستطيع أن يصنع من الأشلاء الممزقة لجسد الأمة الإسلامية كيانًا واحدًا فاعلاً مقتدرًا، وأن يجعل هذه الأجزاء المتفرقة تتعارف وتتبادل الحديث عن الآمال والآلام والتطورات والاحتياجات المتقابلة والتجارب المستحصلة. لو أن الحجّ وُضع ضمن إطار برنامج يتوخّى هذه الأهداف والنتائج وتتظافر عليه جهود الحكومات والعلماء وأصحاب الرأي والكلمة في العالم الإسلامي، لعاد على الأمة الإسلامية بعطاء ثرّ لا يمكن مقارنته بأي عطاء آخر في دنيا الإسلام. يمكن القول بكل ثقة أن هذا التكليف الإلهي وحده، لو استثمر استثمارًا صحيحًا كما أرادته الشريعة الإسلامية، يستطيع بعد مدة غير طويلة أن يبلغ بالأمة الإسلامية ما يليق بها من عزّة ومنعه" (من ندائه عام ١٤١٣هـ).

ويقول: "نعم، الحج عبادة وذكر ودعاء واستغفار، لكنه عبادة وذكر واستغفار في اتجاه تحقيق الحياة الطيبة للأمة الإسلامية، وإنقاذها من أغلال الاستعباد والاستبداد وآلهة المال والقوة، وغرس روح العزّة والعظمة فيها، وإزالة الضعف والخور عنها". (من ندائه عام ١٤٠٩هـ).

ويقول: "الحج قادر على إحياء روح التوحيد في القلوب، وعلى تجميع أشلاء الأمة الإسلامية الكبرى، وعلى استعادة عظمة المسلمين، وعلى انتشالهم من حالة الإحساس بالوهن والذل

المخيّمة عليهم.. الحج قادر على أن يقرّب أدواء المسلمين من الدواء، وأن يعالج أكبر ما فيهم من داء يتمثل في سيطرة الكفر والاستكبار ثقافيًا واقتصاديًا وسياسياً" (من ندائه عام ١٤١٠هـ).

ويقول: "الحج مظهر التوحيد، والكعبة بيت التوحيد. تكرر "ذكر الله" في الآيات الكريمة المرتبطة بالحج دلالة على وجوب إزالة كل عامل غير الله تعالى من ذهن المسلمين وعملهم، وتطهير حياتهم من أنواع الشرك في هذا البيت وببركة هذا البيت. "الله" سبحانه محور كل حركة في ساحة الحج، والطواف والسعي والرمي والوقوف وسائر شعائر الله في الحج يمثل كل واحد منها مشهدًا من مشاهد الانجذاب إلى الله وطرد ورفض "أنداد الله".

وهذه هي الملة الحنيفة. ملة إبراهيم(ع) محطّم الأصنام الكبير وداعية التوحيد المطل على قمة التاريخ" (من ندائه عام ١٤١٠هـ).

المصالح التي تقتضي توسيع الشقاق بين المسلمين لا تزال قائمة. وتنامي الصحوة الإسلاميّة يقوي هذا المقتضي. ويجعل الطامعين في استمرار السيطرة على مقدرات المسلمين يخططون ليل نهار من أجل استثارة الفريقين، لتعميق الحساسيات وإشعال نار النزاعات.ومن المؤكد أنهم سيسلكون لذلك كلّ سبيل.

سَنُسْتَفزُّ بإثارة قضايا تاريخية. وبتزييف المعتقدات والأفكار. وبتهويل الخلافات الفقهية الفرعية. بل وسنستفز بأعمال تخريبية وعمليات إرهابية. وسيُجند لذلك من باع ضميره وذمته للشيطان. فما هو واجب الأمة المسلمة تجاه هذه المؤامرات؟ الجواب واضح. إنه الحذر من الاستفزاز.

من افتتاحيات مجلة رسالة التقريب

السيد محسن الأمين العاملي

١٢٨٤ـ ١٣٧١هـ / ١٨٦٥ـ ١٩٥٢م

• الأمين تقريبي لأنه يحمل همًا حضاريًا. • حارب الأمين الأمية والطائفية والجهل • كان ثورة على الطائفية، ولم يمانع من بحث المسائل العلمية المذهبية • مدرسته المحسنية نموذج للعلم والتعليم والأخلاق ونبذ الطائفية • في كتابه "أعيان الشيعة" أراد إبراز الوجه الحضاري للتشيع • كان الأمين من دعاة التقريب الفقهي ولذلك كان من منظّري التقريب • وكان حربًا على الخرافات والبدع.

رجلٌ حمل همّ التخلّف الحضاري والتمزّق الاجتماعي للأمة فعاش لهذا الهمّ، ولذلك كان تقريبياً.

لقد كان السيد محسن الأمين "من المراجع التي انتظمت وساهمت في رسم معالم مدرسة فكرية من مدارس عصر التجديد والنهضة في تاريخ العرب والمسلمين. هذه المدرسة نقرأ تجلياتها في مركزين إسلاميين كبيرين هما الأزهر والنجف. في الأزهر نقرأ تجلياتها مع الشيخ "محمد عبده" ومدرسته الإصلاحية الكبرى، وفي النجف مع سلسلة من الفقهاء، الذين نتعرف على أسمائهم في زمن انتفاضة التنباك والثورة الدستورية في إيران، ثم الانتفاضة الشعبية في العراق أمثال حسن الشيرازي، وكاظم الخراساني، وحسين النائيني، وآخرين.

والسيد الأمين علم من أعلام هذه المدرسة التي ربطت عملية الاجتهاد بالإصلاح ورأت الاجتهاد الموصل إلى الإصلاح حالة من حالات الجهاد والفريضة.

هاجر سنة ١٣١٩هـ إلى دمشق بعد أن أتمّ دراسته في النجف الأشرف، وسكن في أحد أحيائها، وراح يتلفت إلى ما حوله، فراعه ما رأى من جهل وفقر ونزاع وعادات سيئة، ورأى أن علّة العلل في هذا الوضع المتردي تكمن في:

(١ـ الأمية والجهل المطبق فقد وجدنا معظم الأطفال يبقون أميين بدون تعليم، وبعضهم يتعلمون القراءة والكتابة في بعض الكتاتيب على الطراز القديم.

٢ـ وجدنا إخواننا في دمشق متشاكسين منقسمين إلى حزبين بل إلى أحزاب وقد أخذت منهم هذه الحزبية مأخذها.

٣ـ مجالس العزاء وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة... فوجهنا اهتمامنا إلى إصلاح هذه الأمور الثلاثة).

قال عنه لطفي الحضار رئيس الوزراء السوري الأسبق:

(إن ما كان يتمتع به الإمام العلامة السيد محسن من الزعامة والقوة والحب العميق من جميع من عرفه واجتمع إليه من إخوانه ورجاله وأبناء عشيرته وغيرهم، كانت هذه الزعامة والحب قوة لنا لمتابعة الجهاد والنضال دون تردد أو ضعف، وكانت مجالسه كلها التي نغشاها من حين إلى آخر مجالاً للدعوة الصالحة في وجوب التضامن والائتلاف ونبذ السخائم والخلافات

والترفع عن الدنايا والإسفاف).

وقال عنه الشيخ "هاشم الخطيب" من علماء السنة من دمشق (لقد نهض بأبناء طائفته الجعفرية في سوريا ولبنان وجبل عامل نهضة مباركة وخطا بهم خطوة طيبة حببت إليهم جميع إخوانهم من المسلمين والعرب كما حببتهم أيضاً إلى الجميع فكانوا يداً واحدة إخواناً متحابين على سرر متقابلين تجمعهم وحدة الإسلام وتنظم أهدافهم، وغايتهم المصلحة العامة).

ونقل عنه الدكتور "مصطفى السباعي" (إن شخصاً جاء إليه لينتقل من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، فعرّفه بأنه لا فرق بين السنة والشيعة في العنوان الإسلامي. وعندما أصرّ هذا الرجل قال له السيد الأمين قل: أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالها الرجل، فقال له لقد أصبحت شيعياً. لقد أدرك السيد الأمين(رض) أن الوحدة الإسلامية هي من الممنوعات الاستعمارية، وبذلك كان ثورة على الطائفية في الوقت الذي كان لا يمانع من بحث القضايا المذهبية بذهنية علمية موضوعية، وبروح إسلامية واعية، لأن هناك فرقًا بين الحوار العلمي، والاستغلال السياسي، أو التحرك الغوغائي فالحوار يؤدي إلى التفاهم وينتهي إلى الوحدة، بينما ينطلق الاستغلال والغوغائية إلى مزيد من البعد والاختلاف).

ومن أعماله المشهورة التي لا تزال قائمة حتى اليوم مدرسته التي أقامها "(على أتم نظام وأحسن انتظام ذات صفوف ثانوية

وقسم داخلي تفوق جميع مدارس دمشق التي من نوعها بحسن تنظيمها والمحافظة فيها على التحلّي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ونجاح طلابها في الامتحانات مائة بالمائة، وأصبحت الطلاب تتهافت عليها من جميع الأحياء لما يرى أولياؤهم من تهذيب أخلاق أولادهم ونجاحهم حتى صار يضطرنا الحال أحياناً إلى رد طلبهم لضيق المكان).

إلى جانب ذلك (أنشأ جمعية الاهتمام لتعليم الفقراء والأيتام وكانت مسؤوليتها تقوم على حصر أسماء الناشئة، وتهيئة الأسباب المادية لضمان متابعتهم الدراسة لأن معظم الأهل بسبب فقرهم يفضلون إرسال أبنائهم إلى بعض المراكز الحرفية لتعليمهم صنعة وهم بحالة الأمية وذلك لحاجتهم الملحة لدخل هؤلاء الأولاد لتأمين الضرورات المعاشية.

ولما لاحظ العلامة الأمين أن الأطفال والشباب بحاجة لرعاية خارج نطاق المدرسة أنشأ جمعية الرابطة الأدبية الاجتماعية لتملأ هذا الفراغ وترفدهم بالنشاط الأدبي والرياضي فكانت هذه الجمعيات تعمل مؤازرة للمدرسة المحسنية والمدرسة اليوسفية تحت إشرافه المباشر وتوجيهه الدائم).

وعن نهجه الوحدوي في التعليم يقول الأستاذ "عبد اللطيف الخشن" وهو من الذين تعلموا وتربّوا في مدارس السيد الأمين (لم يكن السيد محسن الأمين في معاملاته لغير أبناء الطائفة الشيعية أقل من معاملته الحسنة لأبناء طائفته، ولم أجد في

حياتي كلها مؤسس مدرسة في الدنيا لا يبالغ بحب أبناء طائفته أولا ولا إيثارهم على غيرهم، وجعلهم مقدمين في الوظائف على غيرهم باستثناء مولانا الأمين الذي كان يفتش عن معلمين للمدرسة يحسنون التدريس، دون النظر إلى الطائفة التي ينتمون إليها إذ كان يفتش عن الإنتاج الفكري، والنضوج العقلي، والوعي في الأستاذ دون أن يسأل عن طائفته، وعن نحلته، وهذا بشهادة جميع الذين لمسوا من الراحل الكريم هذا التسامح وهذه العدالة.

لقد كان أساتذة المدرسة من جميع رجال الطوائف، وإني لأذكر على سبيل الاستشهاد والمثال أن معلمي الدروس الصرفية والنحوية كانوا من السنة والشيعة، وكان المدرس للغة الفرنسية مسيحياً، وكان مدرس اللغة التركية سنياً.

ونظراً للشهرة التي نالتها المدرسة يؤمئذ أقدم الكثيرون على إرسال أولادهم إلى المدرسة وهم من مختلف الطوائف، ولم يكن في برامج التعليم أية صفة خاصة، أوميزة لفريق دون آخر من التلامذة).

ويصف هذه المدرسة الشيخ "هاشم الخطيب" بقوله (إن مدرسته المحسنية بجميع فروعها التي أسسها على حب التسامح والإخاء قد أثمرت ولله الحمد ثمرتها المنتظرة ونرجو لها دوام التقدم والازدهار بهمة من يسيرون على نهج مؤسسها المخلص الوفي).

ومن آثاره الخالدة موسوعة "أعيان الشيعة" وتحتوي على تراجم للموالين لآل بيت رسول الله(ص) على مرّ التاريخ. وقد يخال المرء

بـادي الـرأي أن الرجـل يكـرّس الطائفيـة بكتابـه، ولكـن مطالعـة الكتاب بل مطالعة المقدمة فحسب تفصح أن السيد الأمين أراد أن يبرز التشيّع بأنه مسار علمي فكري جهادي أدبي .. بعبارة أخرى أراد أن يـبرز الوجـه الحضـاري للتشـيّع، لينـأى بـه عـن الوجـه الطـائفي. وهـذا أكـبر عمـل يمكـن أن ينهض بـه التقريبيـون: أن يحوّلوا المذاهب مـن حالـة تعـدّد طـائفي إلى حالـة تنـوّع حضـاري، وهكذا فعل السيد الأمين.

وبمناسبة اشتغال السيد الأمين بالفقه التقريبي يفرق الشيخ التسـخيري بـين الفقـه التقـريبي والتقريـب الفقهـي. فالفقـه التقـريبي يعـالج قضـية التقريـب مـن زاويـة موقعهـا في منظومـة الفقـه، ويـبين رأي الفقـه في التقريـب، أمـا الفقـه التقـريبي فيعـالج قضـية التقريـب مـن زاويـة موقعهـا في منظومـة التقريـب، بعبـارة أخرى هو الفقه المقارن بهدف التقريب، والسيد محسن الأمين من أبرز أصحاب الاتجاه الثاني.

اتجاه التقريب الفقهي

وهـذا الاتجـاه يبحـث مـن زاويـة فقهيـة، تعنـى بالمشـاكل الـتي يواجهها المصلحون التقريبيون في سبيل تحقيق واقع تقريبي. ولو آمنّا بأنّ قسمًا من المشاكل التي تواجهنا في طريق تحقيق الوحدة تعـود أساسـاً إلى إبهامـات لا يوجـد لهـا حـل إلا في المجـال الفقهـي لأمكننـا أن نحصـل علـى صـورة أوضـح لمقـدار موفّقيـة ونجـاح هـذا

الاتجاه بالقياس إلى الاتجاه الأول.

وبذلك ندرك أن أصحاب هذا الاتجاه جعلوا نقطة ابتداء وانطلاق الحركة التقريبية وأساسها هو النظر إلى الملابسات الموضوعية والابهامات الفقهية التي قد تواجهها هذه الحركة. ثم درسوا سبل الوصول إلى رفع القناع عن تلك الملابسات الفقهية.

فمن هذه النقطة والنظرة ينشأ الدافع لدى هذه الفئة من أصحاب فكرة التقريب نحو قبولها، وتذليل العقبات التي تحول دون تحقيقها. وبعبارة أخرى فإن الدافع لهم نحو التقريب ينبعث من حاق الفقه ولبّه؛ ويشكل نتيجة للرؤية الفقهية المتولدة لديهم، مما يعزز دور أبحاث أصحاب هذه الفكرة، باعتبار أن الأبحاث الناشئة من مثل هذا الدافع تكون ذات نفع كبير في تحقيق فكرة التقريب التي راودت ـ وماتزال ـ أذهان أصحابها منذ زمن ليس بالقريب.

وبما أنّ نتائج هذه الأبحاث والدراسات تأخذ كيانها من بوتقة التجارب الفقهية، وانّ المادة الخام لهذه الفكرة هي فقهية بحتة في الواقع، فإنّ هذه الفكرة تستطيع بدورها النفوذ إلى أوساط مجتمع المتدينين بصورة ذاتية وطبيعية، دون الحاجة إلى محاورات جانبية معينة قد تشوبها بعض الملابسات، وكذلك فإنها تصبح جزءاً لا يتجزّأ من المعايشة الفقهية في ذهن المكلّفين.

والذي يفرض علينا تبنّي هذا الاتجاه جملة نقاط:

أولا: إذا لم يتم التعامل مع الوحدة ضمن إطار موضوعي

فقهي، فعلينا أن ننتظر جوًا يعود فيه العمل الاجتماعي مفعمًا بمظاهر الفقه الرسمي التقليدي المذهبي، ومعه لا يفسح المجال للالتزام العملي بالوحدة كما هو واضح.

ثانيا: إن التعصبات المذهبية قد أُشعلت ـ في بعض الأحيان ـ لهيب نيرانها إلى حد سبّب ظهور العداء والعناد بين المذاهب. ولاشك أن خطورة النتائج السلبية لمثل هذا العداء والعناد تزداد فيما لو لبسا لباس الفقه، وأصبحا بسبب ذلك جزءًا من الهوية الفقهية، كأن ترى كل طائفة أن التبّري من أصحاب المذهب الآخر وظيفة فقهية محتمة عليها.

ثالثا: إذا نظرنا إلى الفقه كمجموعة منظمة وهادفة، فإنه يجب علينا ابتداءاً أن نعين ماهو الدور الذي يمكن أن تلعبه الوحدة في هذه المجموعة المتشابكة، وأي نوع من الأحكام علينا أن نتركها جانبًا بسبب التزامنا بمبدأ الوحدة المقدم عليها.

ولا بأس في الإشارة إلى بعض سمات هذا الاتجاه، وتطبيقها على الحركة التقريبية للسيد العلامة الأمين:

ألف. إنّ أصحاب هذه النظرة الفقهية إلى التقريب لا ينادون بتوحيد المذاهب بحيث يذوب بعضها في البعض الآخر، بل يسعون إلى تبيين مكانة التقريب في منظومة الفقه الاجتماعي، ويصوغونها بقالب فقهي واضح، ويرفعون تلك الملابسات والابهامات الفقهية المتوجهة إلى فكرة التقريب بالأجوبة الشافية والكافية، والالتزام بلوازمه في المجتمع المسلم. يقول السيد الأمين:

(ليس مقصودنا من هذه المقالة أن نجعل أهل السنة شيعة أو

العكس، وأن يتبّرأ كل من الطرفين من آرائه ومعتقداته).

وبعبارة أخرى: يحاول هؤلاء استنباط حكم التقريب وتنقيح موضوعه. فهم بدل أن يتدخّلوا في بعض المسائل الجزئية بين هذا المذهب وذاك، يسعون إلى تنقيح المباني الكلامية للتقريب، وإعداد الأدلة الفقهية اللازمة لها.

ب. إنّ مجرّد تبيين الحكم الفقهي للوحدة، وطرحه في منظومة الأفكار الفقهية، لا يعني رفع الغموض الذي يكتنف الناحية الفقهية المتعلّقة بهذا الموضوع الاجتماعي الحسّاس، وإنما ينبغي - علاوة على السعي في هذا الطريق - البحثُ في النسبة بين الأدّلة الفقهية للوحدة وأدلة سائر الأحكام الفقهية، وتتبع حركة البحوث والتحقيقات التي يقوم بها العلماء والفقهاء. وفي ظلّ مطالعةٍ من هذا القبيل يمكننا تشخيص الموارد والظروف التي نعتبر فيها أن الوحدة حاكمة على الأحكام الأخرى بشكل أساسي.

ولعل من أهمّ المسائل التي تواجه أصحاب هذا الاتجاه التقريبي هي كيفية وضع الحلول العلمية لبعض المشكلات التي تعترض الطريق الواصل بين أدلّة الوحدة وأدلّة سائر الأحكام الفردية أو الاجتماعية الأخرى.

ونجد مثل هذا الاهتمام في كلمات العلامة الأمين، حيث يتعرض إلى مسألة التولّي والتبرّي من منظور فقهي، ويحاول معالجة صلة قضية التقريب بهذه المسألة...

ج . الاكثار من رفع شعار الوحدة: عندما يصل الفقيه من

خلال استنباطه الى وجوب الوحدة ـ كالذي نراه عند السيد الأمين ـ فسوف يكون له في شعار الوحدة طعم خاص ومتميز. فالوحدة من الشعارات المحببة والخطيرة. محببة لأنه يُوجِدُ شعوراً عاماً بأهمية قضية الوحدة، إذ أن المسلمين قاطبة يشعرون أن نقطة الضعف في مواقفهم إنما هو التشتت والفرقة المستشرية فيهم. وكونه خطيراً فلأنّ الفكر ـ أيّ فكر ـ لو كان تجريدياً محضاً، لا يعنى بواقع الناس ولا يعيش همومهم ينزوي لا محالة ولو بعد حين، بعكس ما لو كان يؤثر في حياة الناس ويتفاعل معهم، فإنّه سيشكل منعطفاً تاريخياً فيخلد.

فقضية الوحدة الاسلامية قضية مهمة وخطيرة حيثما يوجد واقع يشغله مسلمون، ويكفي أن يلقي المرء نظرة على خارطة العالم، ومقدار ما يشغله المسلمون منها من مواقع استراتيجية، ليدرك جيداً أهمية موقفهم الحضاري.

د ـ السعي لرفض الخرافات: إن أصحاب النظرة الفقهية الى التقريب يدركون قبل الآخرين ما تتركه الخرافات من آثار سلبية في المجتمع؛ ومن هذا المنطلق فقد تصدّى لها العلاّمة المرحوم السيد الأمين بشجاعة كبيرة رغم العقبات التي واجهها، وما خلّفته من متاعب جمّة، وليس هذا بجديد على الفقيه والباحث والمصلح والمحقق، حيث اكتسح الخرافات ورمى بها عرض الحائط، وأسّس مكانها مواقع عمل مشتركة جعلت تملأ الفراغات الحاصلة جرّاء قمع الخرافات والأساطير التي كانت قد عشعشت في أذهان الكثير من الناس.

أهداف الزهد في الإسلام

مرتضى مطهري *

• مهمة الدين حل التعارض بين المصلحة الفردية والاجتماعية
• الإسلام قادر على خلق الإنسان المتفاني في سبيل الآخرين
• لا يمكن قبول وجود فئة محرومة وفئة مترفة في المجتمع الإسلامي.
• الزهد في الحاكم يخلق معايير جديدة في التقويم • الانعتاق من الدنيا لا يعني الانعزال عنها • الانغماس في اللذائذ المادية يغلق منافذ المشاعر الإنسانية واللذائذ المعنوية.

الإسلام يحث الإنسان على الزهد تحقيقاً للأهداف التالية:

١ـ الإيثار: فمهمة الدين تتمثل في حلّ المشكلة الاجتماعية الناتجة عن تعارض المصلحة الفردية مع المصلحة الاجتماعية. والإسلام يربّي أبناءه تربية ينحلّ معها هذا التعارض، بل ويصبح الفرد المسلم يجد لذّته في التضحية بلذائذه من أجل مصلحة الآخرين. يحرم نفسه من الملبس والمأكل والمشرب كي يتمتع بها الآخرون، ويحرم نفسه من النوم والراحة كي يسعد الآخرون.

صور الإيثار التي يذكرها لنا القرآن وكتب التاريخ عن الرعيل الأول من المسلمين تؤكد قدرة الإسلام على خلق الإنسان

---

* - عالم ومفكر إسلامي كبير.

المتفاني في سبيل الآخرين.

سورة "هل أتى" تخلّد واحدة من تلك الصور، حيث تتحدث عن إيثار أمير المؤمنين عليّ وأهل بيته الكرام. وتشير إلى تقديم ما يملكونه من طعام إلى مسكين ليلة والى يتيم في الليلة التالية والى أسير في الليلة الثالثة: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا﴾ .

الإسلام حثّ على هذا الزهد في متاع الحياة الدنيا ورغّب فيه لأنه تربية للإنسان على طريق السمو والتكامل، ومدح الصفوة المؤمنة من الأنصار التي جسدت أروع صور الإيثار في المدينة، فقال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ .

٢ـ المواساة: الإسلام يربّي أفراد المجتمع على الاشتراك في العواطف والأحاسيس، ويصيّر منهم جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

من هنا لا يمكن أن نتصور في المجتمع الإسلامي وجود فئة معدمة وفئة مترفة. لأن روح المواساة التي يخلقها الإسلام في المجتمع تأبى على المتمكنين أن يتركوا المعوزين في فاقتهم وفقرهم. وهنا يأتي دور الزهد ليخلق روح التكافل الاجتماعي، وليدفع أفراد المجتمع الإسلامي إلى الأخذ بيد الضعفاء وإزالة

ظاهرة الفقر من المجتمع أو لإزالة ظاهرة التفاوت الفاحش في مستوى المعيشة.

الإسلام يعير أهمية كبرى لزهد الحاكم الإسلامي. لأن هذا الحاكم بحاجة إلى روح المواساة أكثر من غيره، ولأن الزهد في الحاكم يخلق في المجتمع معايير لتقويم الأفراد لا ترتبط بالمال والمتاع.

من هنا كان لزاماً على الحاكم الإسلامي في المجتمع المسلم أن يعيش مثل أبسط الناس وأضعفهم في المعيشة.

هذا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يجسد نموذج الحاكم المسلم الزاهد إذ يقول: ".. وإنّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العَسَل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحَسبكَ داء أن تبيتَ ببطنة وحولُك أكبادٌ تَحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون لهم أسوة في جشوبة العيش!!"

٣ـ التحرر والانعتاق: الإنسان مقيد بعوامل بيولوجية وطبيعية لا يستطيع أن يتخلّى عنها، فهو مضطر إلى التنفس والى تناول الطعام والى إعداد وسائل الوقاية من البرد والحر ونظائرها.. غير أن هناك من القيود ما يستطيع أن يتحرّر الفرد منها إن روّض نفسه على التحرر. مثل قيود شحّ النفس والنهم وحب الادخار والاستئثار والجاه والمقام والشهرة ونظائرها. هذه القيود تكبل الإنسان إن أطلق العنان لهواه ولم يروّض نفسه على الانعتاق من ربقتها.

الإنسان مكلّف بالتحرر من هذه القيود المفتعلة قَدَر ما يتحمّله من مسؤولية على الساحة الاجتماعية. لذلك كان الأنبياء مكلّفون بالتحرر من هذه القيود أكثر من غيرهم.

الزهد يؤدّي في حياة الإنسان دوراً هاماً في تحريره من العوامل التي تشدّه إلى البطر والراحة والسكون وتكريس الذات، ويجعله قادراً على الاندفاع السريع على صعيد العمل الاجتماعي والخدمة الاجتماعية.

من هنا كان الأنبياء عليهم السلام أكثر الناس تحرراً من القيود المفتعلة، وكان رسول الله(ص) "خفيف المؤونة" كما تذكر كتب السيرة.

وهذا خرّيج مدرسة رسول الله، علي بن أبي طالب، يتحدّث عن

ترويضه لنفسه على الانعتاق من القيود الدنيوية المفتعلة فيقول:

"إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك (الجملة تمثيل لتسريح الدنيا وإبعادها عن نفسه) ،قد انسللتُ من مخالبك، وأفلتّ من حبائلك، واجتنبتُ الذهابَ في مداحضك.. أغربي عنّي (ابتعدي عني). فوالله لا أذّل لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني، وأيم الله ـ يميناً أستثني فيها بمشيئة الله ـ لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولا دعنّ مقلتي كعين ماء، نضب معينها، مستفرغة دموعها. أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، ويأكل عليّ من زاده فيهجع؟!! قرّت إذن عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعيّة!".

وهذا الانعتاق لا يعني الانعزال عن الدنيا، بل يعني دخول معركة الحياة بترفّع والتخلّص من كل الذاتيات، والذوبان التام في المبدأ والتضحية المستمرة على طريق أهداف الرسالة. يعني ممارسة الحياة ممارسة القائد لها لا المنقاد، والموجّه لمسيرتها لا التابع لها اللاهث وراءها.

وهكذا كان أمير المؤمنين علي وسائر المقتدين برسول الله(ص).

٣ـ تذوّق اللذات المعنوية: الانغماس في تلبية حاجات الجسد الماديّة يغلّظ الحسّ ويضخّمه، ويغلق منافذ المشاعر الإنسانية واللذائذ المعنوية. الفرد الذي يعيش بين معلفه ومضجعه لا يمكن أن يتحسّس لذة معنوية مثل لذة الدعاء ولذة الاتصال بالله ولذّة التضحية من أجل الآخرين ولذّة طلب العلم والتفكير والعطاء.

وحين يمارس الإنسان عملية الترفع عن الانغماس في اللذات المادية، وعلمية الانسلاخ من الانشداد البهيمي بالأرض والمتاع، فإنه ينفتح على عالم جديد وعلى لذات جديدة لا تقلّ عن اللذات المادية، إن لم تكن أعمق منها. من هنا كانت لذة الصلاة قرة عين الرسول الأعظم، وإحدى ثلاثة أشياء يتعشقها في الحياة الدنيا.

الإنسان العابد الزاهد يرى حقائق الكون بمنظار يختلف عن ذلك الفرد المنغمس في حسّه المادي..

والفرق بين الاثنين لا يقتصر على إطار الرؤية، بل يتّسع ليشمل التفكير والاستنتاج والتقويم والربط. يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾.

المثقفون وعلم أصول الفقه

زكي الميلاد *

• علم أصول الفقه من ابتكارات العقل الإسلامي في عصر الإبداع • اعتبره الغزالي من أشرف العلوم • هذا العلم يفترض أن يكون منهجاً لدراسة جميع العلوم الإسلامية • الاقتراب من منهج أصول الفقه يساعد في تطوير مستويات الفهم وقراءة النصوص • من خلال أصول الفقه يمكن اكتشاف النزعة العقلية في الفكر الإسلامي .

هناك حقل معرفي شديد الأهمية، لم يقترب منه المثقفون كثيراً، ولم يتعرفوا على منهجياته وقواعده ومسائله بصورة واسعة ومعمقة، ولم يدفعهم إليه حتى شغفهم بالمعرفة، وفضولهم في التعرف عليه، ومحاولة اكتشافه والاحتكاك به. وهذا الحقل هو علم أصول الفقه، وهو من الحقول المعرفية القديمة، الذي لم ينقطع الاتصال به، ولم تتراجع أهميته والحاجة إليه، بل كانت تتأكد وتتضاعف مع تراكم المعرفة، وتعاقب الزمن.

ويعتبر هذا العلم من ابتكارات العقل الإسلامي الخالص في عصور إبداعه وتقدمه، ومن منجزات الحضارة الإسلامية في زمن صعودها وازدهارها، كما أنه من العلوم الأصلية التي ابتكرها

* - باحث من المملكة العربية السعودية، رئيس تحرير مجلة "الكلمة".

المسلمون، ولم يكن وافداً عليهم من الثقافات الأجنبية، اليونانية أو الفارسية أو الهندية، بل ولم يكن معروفاً عند تلك الثقافات والمجتمعات. وهو يعادل علم المنطق عند اليونان في العصر القديم، وفلسفة القانون عند الأوروبيين في العصر الحديث. وهناك من يشبه علم الأصول بالمنطق مثل السيد محمد باقر الصدر، الذي يصطلح عليه بمنطق علم الفقه أو منطق عملية الاستنباط، لأنه يقوم بعملية تنظيم التفكير الفقهي في استنباط الأحكام. وهناك من وصفه بعلم منطق الشرع في مقابل علم المنطق الأرسطي الفلسفي.

وقد اعتز علماء المسلمين كثيراً بهذا العلم، وتمسكوا به، وتعمقوا في معارفه وأفكاره ومسائله، واعتبره أبو حامد الغزالي في مقدمة كتابه "المستصفى من علم الأصول" بأنه من أشرف العلوم، وقال عنه: "وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل، فإنه يأخذ من صفوة الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد".

وفي أربعينيات القرن العشرين دعا الشيخ مصطفى عبدالرازق، في كتابه المعروف "تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية"، إلى الاهتمام بأصول الفقه، وضمه إلى حقل الفلسفة الإسلامية،

وأكّد على ضرورة أن يدرّس في إطارها إلى جانب علم الكلام والتصوف.

وكان يرى بأن التوسع في دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية، سينتهي إلى ضمّ علم أصول الفقه إلى شُعَبها. علماً بأن الشيخ عبدالرازق كان أول أستاذ مصري درّس الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية التي أنشئت سنة ١٩٢٥م، وتعرف حالياً بجامعة القاهرة، وقبله كان يدرس هذه المادة المستشرق الإيطالي سانتلانا.

كما أن أصول الفقه هو العلم الذي التقت فيه خبرات العلوم الإسلامية بتنوع حقولها وميادينها، إلى جانب علوم اللغة العربية والمنطق والفلسفة. لذلك وصفه الدكتور طه جابر العلواني بأنه العلم الذي يمثّل فلسفة الإسلام.

وكان من المفترض أن يكون علم أصول الفقه، منهج البحث الإسلامي في كل ما يتصل بالمعارف والعلوم الإسلامية، وما يتصل أيضاً بعلاقة الدين بالحياة، وعلاقة الدين بالعمران، أو أن يكون وثيق العلاقة والارتباط بهما، لا أن يضيّق ويقتصر على مجالات ومعارف محدودة وضيقة.

وفي أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، التفت الدكتور مهدي فضل الله، أستاذ الفلسفة والمنطق في الجامعة اللبنانية، إلى ما أسماه النقص الفادح الذي تشكو منه المكتبات الجامعية، حيث لا نجد حسب رأيه مؤلفاً جامعياً حديثاً وجامعاً لأصول الفقه

كلها. ولهذه الغاية أصدر كتابه "الاجتهاد والمنطق الفقهي في الإسلام" سنة ١٩٨٧م.

وفي هذا الكتاب يرى الدكتور فضل الله، أنه إذا كان علم المنطق الفلسفي موقوفاً في ضرورته العقلية وحاجته الإنسانية، على المفكرين والفلاسفة ورواد الدراسات الفلسفية في كل بلد، فان المنطق الفقهي الشرعي، أو علم أصول الفقه، لا يتوقف في ضرورته العقلية وحاجته الإنسانية، على علماء المسلمين ورواد الدراسات الإسلامية في كل بلد فقط، وإنما يتعداهم إلى علماء وفقهاء القانون من كل بلد، بصرف النظر عن مذاهبهم ومشاربهم ومعتقداتهم.

وما يؤكد قيمة هذا الحقل ويضاعف من أهميته، أنه في العشرين سنة الأخيرة، ونتيجة لتعاظم واتساع الحالة الإسلامية في الأمة، وتزايد حضور وفاعلية الأفكار الإسلامية، اقترب قطاع كبير من المثقفين نحو التعاطي مع القضايا والظواهر والأفكار ذات الطبيعة الإسلامية، ووجدوا أنفسهم في احتكاكات واسعة ومستمرة مع تلك القضايا والظواهر، التي فرضت على جميع النخب الدينية وغير الدينية الاهتمام بها، والاشتغال الفكري عليها، بمنهجيات ومنظورات مختلفة ومتعدّدة.

وهذا الانخراط من المثقفين، وما قدمه هؤلاء من أفكار وتصورات ووجهات نظر، حول تلك القضايا والظواهر الإسلامية،

غالباً ما كان يقابل بالرفض والاعتراض عند النخب الدينية، ويصور عادة بأنه يفتقد إلى الاختصاص وأهلية المعرفة الدينية. وكانت هناك ضرورة بالفعل لأن يطور هؤلاء من معرفتهم بمنهجيات النظر للنصوص والمسائل والظواهر التي تنتمي إلى النسق الإسلامي، وأن يكون التعامل معها بمنهجيات تنتمي إلى حقلها المعرفي، وليس بمنهجيات من خارج إطارها، كالذي كان يحصل في أكثر الأحيان، الحالة التي نشأت منها بعض الالتباسات وسوء الفهم، ودفعت بنقاشات اتصفت بالسجالية والاحتجاجية التي لا طائل تحتها.

لذلك فان الاقتراب من علم أصول الفقه، وتكوين المعرفة بقواعده وعناصره وأدلته، يساعد كثيراً في تطوير مستويات الفهم، ومنهجيات النظر للنصوص والمسائل والظواهر التي تنتمي إلى إطار المعرفة الدينية. فأصول الفقه هو العلم الذي ينظم طرائق النظر، ومنهجيات التعامل مع النصوص الدينية والمسائل الإسلامية، عن طريق مجموعة من القواعد، والأدلة المترابطة والمتفاعلة، الدقيقة والمحكمة. بعضها قواعد لغوية تحاول تفسير وتحليل التركيبات اللفظية للنص، كصيغة الأمر والنهي، المطلق والمقيد، العام والخاص، الحقيقة والمجاز، الصحيح والأعم، المنطوق والمفهوم، المجمل والمبين، ومفهوم الشرط والغاية والحصر والعدد إلى غير ذلك. وبعضها قواعد عقلية تحاول التعامل مع

النص من جهة لوازمه العقلية، وتنظيم العلاقات بين الأدلة والقواعد، مثل مقدمة الواجب، ومباحث الضد، والمهم والأهم، وبناء العقلاء، والسيرة العقلائية إلى غير ذلك، وبعضها قواعد شرعية مثل قاعدة لا ضرر ولا ضرار، وقاعدة العسر والحرج والجهل إلى غير ذلك، إلى جانب أدلة الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

وما ينبغي معرفته أنه من خلال أصول الفقه، يمكن اكتشاف ملامح ومكونات النزعة العقلية في الفكر الإسلامي.

لئن كانت المذهبية تخلق تمايزاً في بعض الأحكام الفرعية فإننا لا نرى مشروعاً سنياً وآخر شيعياً: في حقل الاقتصاد الإسلامي، ونظام العلاقات السياسية، والنظام الاجتماعي، والنظام القضائي، بل وحتى في نظام الحكم؛ لأن الفريقين . إن اختلفا في الإمامة والخلافة من قبل . يتفقان اليوم في صفات ولي الأمر الصالح لحكم المسلمين، ويتفقان في الشورى وفي مشاركة الأمة، بل وحتى في فرعيات نظام الحكم الإسلامي. وهذا هو السبب وراء تجاوز الكتب التي طرحت هذه المشاريع: الحدود المذهبية، حتى أصبحت كتابات مفكري الصحوة من أهل السنة والشيعة تتداولها أيدي القراء المسلمين على اختلاف انتماءاتهم المذهبية.

من افتتاحيات مجلة رسالة التقريب

الاختلاف الفقهي

أسبابه والموقف منه

محمد علي التسخيري *

• الإسلام دين واقعي يتعامل مع اختلاف وجهات النظر من منطلق التكوين الفطري • الاختلاف المنهي عنه هو في الموقف العام من القضايا المصيرية • معرفة أسباب الاختلاف الفقهي مفيدة للتقريب • المجتهد الحاكم هو وحده الذي يحقّ له أن يقرر في المواقف الاجتماعية ولا يحق لمجتهد آخر أن يخالفه • ملاك عمل الحاكم الشرعي هو تحقيق مقاصد الشريعة .

هذا البحث يتناول أسباب اختلاف الفقهاء، والموقف العملي للدولة الإسلامية تجاه هذا الاختلاف قبل ذلك ينبغي أن نذكر حقيقة مهمة هي: أن الإسلام دين الفطرة، أي أنه دين واقعي لا يتعامل مع الخيال وإنما يتعامل مع الواقع سواء كان على صعيد الوجود كله، أو صعيد التاريخ الإنساني أو صعيد الفطرة الإنسانية.

ومن عجائب الفطرة هذا الانسجام التكويني الرائع بين القناعة الفكرية، والميول العاطفية والسلوك العملي في الإنسان، كما أن من عجائبها هذا التنوع في دراسة الأشياء ومعرفتها وتطبيق

* ـ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية والمقال اختصرناه من بحث موسّع.

البديهيات العقلية عليها، وربما كان من عجائبها أيضاً اختلاف وجهات النظر والاجتهادات في تحليل القضية الواحدة.

ولسنا بصدد التحليل النفسي بقدر ما نحن بصدد القول بأن الإسلام بمقتضى واقعيته قرر أن العقيدة يجب أن تتشكل وفق برهان منطقي: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ وأنه لا يمكن الإكراه عليها، وإنما مسيرها الطبيعي الاستدلال والبرهنة، وكذلك فإنه بمقتضى واقعيته أيضاً سمح بالاجتهاد في فهم نصوصه القرآنية والنبوية واستنباط أبعادها وتطبيق مفاهيمها على الواقع، وبالتالي استنباط الصور الكلية والجزئية لموقف الإسلام من أنماط السلوك الإنساني بل وحتى الموقف الإسلامي من الكون والحياة والإنسان، وشتى المواقف الاجتماعية المطروحة أو التي ستطرح على المسيرة الحضارية.

أما الاختلاف الذي نهى عنه القرآن الكريم وشدد النكر عليه، فهو كما هو واضح، الاختلاف في الموقف العام من القضايا المصيرية المشتركة للأمة الإسلامية الواحدة، ذلك أن حبل اللّه الذي أمرنا بالاعتصام به هو الخط العام المتيقن من الإسلام والذي يشكل عصمة هذه الأمة وخصيصتها الكبرى، إنه "القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة" ولايشك في هذه العروة الوثقى إلا جاهل أو مكابر.

وتبقى كل الاختلافات والاجتهادات المتنوعة في إطار الاعتصام بالكتاب والسنة وحينئذ يتوحد الموقف العام رغم اختلاف الاتجاهات في الإطار الواحد.

إن وعي هذه الحقيقة ضروري لدى مفكرينا بل جماهيرنا، وردّ على أولئك الذين يدعون إلى تذويب المذاهب الفقهية تحقيقاً للوحدة الإسلامية.

أسباب الاختلاف الفقهي:

ومعرفة أسباب الاختلاف الفقهي أمر مفيد جداً لتحقيق التقريب، وضروري لبحثنا هذا، فما هي هذه الأسباب؟

في ورقة العمل المقدمة من قبل اللجنة المنظمة لندوة التقريب التي انعقدت في المغرب، أرجعت الأسباب إلى أربعة، هي:

أ ـ الاختلاف في دلالة النص الثابت.

ب ـ الاختلاف في صحة النص المتعلق بالحكم.

ج ـ تباين الاجتهاد في ترجيح الأدلة عند تعارضها.

د ـ اختلاف الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص صريح.

مجالات الاختلاف الفقهي والموقف فيها

لاحظنا أن وجود الاختلاف حالة طبيعية نتيجة تعدد أسباب الاختلاف.

إلا أننا هنا نحاول التحدث عن المجالات التي يتم الاختلاف فيها وكيفية توجيه الموقف فيها أو احتواء الموقف الخلافي أو بالأحرى تحويل الخلاف إلى نقطة قوة وثراء بدلاً من أن يتحول إلى نقطة خور وضعف، ومهما قيل عن الحديث المنسوب للرسول(صلى الله عليه وآله) "إختلاف أمتي رحمة" فان الإسلام

لابد أن يحوّل كل القضايا الطبيعية إلى عنصر ثراء للمسيرة الإسلامية الصاعدة.

ولما كان الفقه مرتبطاً بالحياة الفردية والاجتماعية فمن الطبيعي أنه يترك أثره الايجابي أو السلبي على المسيرة الحياتية، فما هو الطرح الإسلامي المتصور في البين؟

ولدى الجواب نود أن نذكر بأن السلوك ينقسم إلى فردي واجتماعي دون أن نضع حداً فاصلاً بينهما، فهناك سلوكات فردية ترتبط تماماً بالسلوك الاجتماعي،وأخرى لا علاقة مباشرة لها بذلك، ولذلك فهي مشمولة بالأحكام الاجتماعية بمقدار هذه العلاقة.

فإذا ركز على أنماط السلوك الفردي من قبيل (استحباب القنوت في الصلاة ووجوب رد السلام، وحرمة النذر لغير اللّه تعالى) وأمثال ذلك مما لا يرتبط مباشرة بالسلوك الاجتماعي العام، وجدنا أن الإسلام يفسح المجال للمسلم أن يجتهد بنفسه لاستنباط هذه الأحكام أو يقلد مجتهدًا فيها، ولا ضير حينئذ في اختلاف الاجتهاد ولا يترك أثراً على وحدة الموقف العام.

فإذا انتقلنا إلى الساحة الاجتماعية، والعمل الاجتماعي فإن الموقف كما نرى يتغير، فرغم سماح الإسلام للمجتهدين بل تأكيده عليهم في استنباط المواقف النظرية للإسلام في هذا المجال، وكذلك سماحه لهم في إبداء الرأي في النوازل والحوادث الواقعة إلا أنه لا يسمح لهم مطلقاً بالإخلال بالموقف العام، ومن

هنا نقول: إن المجتهدين يمكن أن يستنبطوا الحكم الإسلامي الأولي أي الذي وصفه الإسلام للموضوعات بعناوينها الأولية كحرمة الخمر والربا والقمار ووجوب الصلاة والزكاة والحج، كما لهم أن يعينوا الموقف النظري في الأحكام الثانوية أي الأحكام التي تطرأ على الموضوعات نتيجة حصول ضرر أو حرج أو إكراه أو وقوع الشيء مقدمة للواجب أو سد ذريعة للحرام وما إلى ذلك، والمكلفون هم الذين يشخصون مصاديق هذه المواقف النظرية ويعملون بها في سلوكاتهم الفردية.

أما المجال الاجتماعي أو الموقف الاجتماعي فالذي يقرره هو المجتهد الحاكم لا غير ويمكن لغيره من المجتهدين أن يعينوه على ذلك، وإذا صدر الموقف الحكومي الشرعي فليس لأحد من المجتهدين أن يخالفه عملياً على الإطلاق وإلا لأدى ذلك إلى شق عصا المسلمين، ومن هنا يحق لنا أن نقول إنه لامجال للاختلاف في الموقف الاجتماعي العام داخل المجتمع الإسلامي أو تجاه خارج هذا المجتمع.

ولي الأمر وانتخاب الفتوى الملائمة

في أحد بحوثنا طرحت مسألة (التلفيق والأخذ بالرخص) وقلنا هناك بأنّ للفرد أن يأخذ بمسألة التلفيق بين الفتاوى بعد أن بنينا ذلك على عدم لزوم إتباع الأعلم في التقليد.

ولسنا نريد إعادة البحث هنا، ولكنا نريد أن نتحدث عن حقيقة

مهمة هنا هي إن الحاكم الشرعي يستطيع أن يعتمد فتواه أو فتوى غيره مما يراه منسجماً أكثر من غيره مع مجمل الخط العام الإسلامي، فيصدر أمره بجعل هذه الفتوى حكماً عاماً وقانوناً تتبعه الأمة ـ بما فيها سائر المجتهدين بما يشمل القائلين بخلاف تلك الفتوى ـ وهذا المعنى إنما يتصور في مجال الحياة العامة لا السلوك الفردي.

ولتوضيح الأمر نقول:

إن المجال هنا ليس مجال تقليد العامي للمجتهد ليأتي بحث (الأعلمية)، وإنما هو مجال إدارة الحياة العامة بما يحقق المقاصد الإسلامية وفق الأحكام التي شرعها الشارع الحكيم (تعالى)، في إطار تخطيط إسلامي للحياة قد يتطلب أحياناً اللجوء إلى فتوى معينة هي أكثر انسجاماً مع المصلحة العامة، وتشكل مع غيرها مجموعة متكاملة، مما يدفع إلى انتقائها وجعلها قانوناً بعد أن كانت حصيلة اجتهاد إسلامي جار وفق الطريقة الشرعية لاستنباط الأحكام. فلو كان الحاكم ممن يقولون بمسألة تعدد الآفاق ـ كما هي فتوى الشافعية ـ وبالتالي تعدد أوائل الشهور القمرية في العالم الإسلامي، إلا أنه كانت هناك فتوى معتبرة ـ وحبذا لو كانت مشهورة أيضاً ـ تقول بوحدة الآفاق وكفاية رؤية القمر في أي مكان من العالم للحكم بدخول الشهر القمري كما هي مثلاً فتوى المذاهب الثلاثة (الحنفي والمالكي والحنبلي) وبعض علماء الإمامية كالمرحوم الإمام الخوئي والإمام الشهيد الصدر

فإن للحاكم الشرعي لا بصفته يفتي لمقلّديه، بل بصفته يدير شؤون الأمة الإسلامية أن ينتخب هذه الفتوى ويحولها إلى حكم إلزامي تدار على أساس منها شؤون الأمة.

فملاك عمل الفرد في تقليده هو الوصول إلى الرأي الحجة بينه وبين ربه في المجال العملي في حين أن ملاك عمل الحاكم الشرعي هو تحقيق مقاصد الشريعة وإشاراتها مع الحفاظ على المصلحة العامة للأمة في إطار ما منحته الشرعية من صلاحيات قانونية.

ولكي نقرّب الأمر إلى الذهن نلاحظ أن الباحث المسلم لكي يكتشف مذهباً حياتياً كالمذهب الاقتصادي الإسلامي أو المذهب الاجتماعي، أو الحقوقي أو غير ذلك، قد يجد فتاوى منسجمة مع بعضها لدى مفتين متعددين، لكنها تشكل وجهاً واحداً لخط عام منسجم، وحينئذ فإنه يستطيع أن يطرح ذلك الخط كصورة اجتهادية عن المذهب المذكور.

وهذا ما فعله المرحوم الشهيد الصدر ـ وهو من كبار المجتهدين ـ في كتابه "اقتصادنا" وقال مفسراً ذلك: "إن اكتشاف المذهب الاقتصادي يتم خلال عملية اجتهادية في فهم النصوص وتنسيقها والتوفيق بين مدلولاتها في اطراد واحد، وعرفنا أن الاجتهاد يختلف ويتنوع تبعاً لاختلاف المجتهدين في طريقة فهمهم للنصوص، وعلاجهم للتناقضات التي قد تبدو بين بعضها والبعض الآخر، وفي القواعد والمناهج العامة للتفكير الفقهي التي يتبنونها، كما عرفنا أيضاً أن المجتهد يتمتع بصفة شرعية وطابع إسلامي

مادام يمارس وظيفته ويرسم الصورة ويحدد معالمها ضمن إطار الكتاب والسنة، ووفقاً للشروط العامة التي لا يجوز اجتيازها.

وينتج عن ذلك كله ازدياد ذخيرتنا بالنسبة إلى الاقتصاد الإسلامي ووجود صور عديدة له كلها شرعي وكلها إسلامي، ومن الممكن أن نتخير في كل مجال أقوى العناصر التي نجدها في تلك الصورة وأقدرها على معالجة مشاكل الحياة وتحقيق الأهداف العليا للإسلام وهذا مجال اختيار ذاتي يملك الباحث فيه حريته ورأيه".

ويضيف : "إن ممارسة هذا المجال الذاتي، ومنح الممارس حقاً في الاختيار ضمن الإطار العام للاجتهاد في الشريعة قد يكون أحياناً شرطاً ضرورياً من الناحية الفنية لعملية الاكتشاف".

ثم يضيف متسائلاً: "هل من الضروري أن يعكس لنا اجتهاد كل واحد من المجتهدين ـ بما يتضمن من أحكام ـ مذهباً اقتصادياً متكاملاً وأسساً موحدة منسجمة مع بناء تلك الأحكام وطبيعتها؟ ونجيب على هذا التساؤل بالنفي لأن الاجتهاد الذي يقوم على أساسه استنتاج تلك الأحكام معرض للخطأ،ومادام كذلك فمن الجائز أن يضم اجتهاد المجتهد عنصراً تشريعياً غريباً على واقع الإسلام. ولهذا يجب أن نفصل بين واقع التشريع الإسلامي كما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) وبين الصورة الاجتهادية كما يرسمها مجتهد معين".

فإذا كانت الحال هذه ـ مع اكتشاف النظرية العامة للإسلام

من قبل مجتهد ما ـ مشروعة فهي أولى في المشروعية عندما يراد إصدار قانون عام، وذلك:

أولاً: لما يملكه الحاكم الشرعي من صلاحية واسعة لتحويل الأحكام وفق المبادئ المعطاة.

ثانياً: لكون هذه الحالة مؤقتة في حين يراد للنظرية أن تكون دائمة.

ثالثاً: لأنه يعتمد على خبراء الدولة ومشاورتهم في معرفة الواقع القائم واكتشاف التلاؤم بين الفتاوى، الأمر الذي يقربه من الواقع.

رابعاً: لأنه لا مفر لانتخاب أحد الفتاوى للعمل بها بشكل عام من قبل الحاكم الشرعي ولذا فمن الطبيعي أن تنتخب الفتوى الأكثر انسجاماً مع سير الأمور.

كل ذلك شريطة أن تكون قد صدرت على أساس من قواعد الاجتهاد المعروفة، بل وقد نشترط فيها أحيانا أن تكون من الفتاوى المشهورة. ونشير هنا إلى أن الكثير من الدول في دساتيرها لم تعتمد مذهباً إسلامياً معيناً حتى في قضايا الأحكام المدنية، رغم أنها ركزت على خصوص أحد المذاهب، فقد اضطرت لكي تحفظ سلامة العائلة وصيانتها للاعتماد على الرأي الإمامي القائل بعدم مشروعية الطلاق بالثلاث في مجلس واحد واعتبارها طلاقاً واحداً رغم أنها اعتمدت في عموم أحكامها على المذاهب الأخرى.

قضايا العقيدة والتواصل المعرفي

حسن موسى الصفار *

• انصب الاهتمام في التواصل بين المذاهب على الجانب الفقهي والثقافي • الميدان العقائدي لا يزال ساحة صراع ونزاع • القضية العقائدية هي الأكثر أهمية على المستوى الديني • بعض الموسوعات تتعامل مع المذهب الآخر بأسلوب حاقد • نحتاج إلى مؤسسة مهتمة بدراسة مقارنة للعقائد وعلم الكلام • الانفتاح المصحوب بالفكر والعقل هو طريق الهداية إلى الحق والخير .

لقد شهدت ساحة الأمة في هذا العصر، بداية تواصل معرفي يبشّر بالخير بين نخبها العلمية والفكرية لكنها اتجهت غالبًا صوب المجالين الفقهي والثقافي.

ففي المجال الفقهي صدرت عام ١٩٦١م موسوعة جمال عبدالناصر الفقهية من القاهرة، لتذكر آراء المذاهب الإسلامية في مسائل الفقه جنباً إلى جنب، المذاهب الأربعة والمذهب الظاهري ومذهب الإمامية ومذهب الزيدية ومذهب الاباضية.

وصدرت مجموعة من الكتب الفقهية التي تتناول آراء مختلف المذاهب في جميع أبواب الفقه الإسلامي أو بعضها. ككتاب (الفقه على المذاهب الخمسة) للشيخ محمد جواد مغنية، وموسوعة

---

* - عالم وداعية من المملكة العربية السعودية.

(الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي، وكتاب (الأحوال الشخصية) للشيخ محمد أبو زهرة، وكتاب (أحكام الأسرة في الإسلام) للدكتور محمد مصطفى شلبي، وغيرها كثير.

وكان تأسيس (مجمع الفقه الإسلامي) بالقرار الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث المنعقد بمكة المكرمة، بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ الموافق ٢٨ يناير ١٩٨٩١ خطوة رائدة على هذا الصعيد، حيث يتكون هذا المجمع من علماء وفقهاء يمثلون كل الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بمذاهبها المختلفة، من السنة والشيعة والزيدية والاباضية.

وينتظم أعضاؤه في شعب متخصصة لها لجان فرعية، ومن شعبه شعبة التقريب بين المذاهب، وفي كل دورة من دورات المجمع تناقش قضية أو أكثر من قضايا الفكر والفقه الإسلامي، حسب تخطيط مسبق من قبل الأعضاء المشاركين. كما تصدر عن المجمع مجلة تتضمن البحوث المقدمة والمداخلات والتعقيبات، بعنوان (مجلة مجمع الفقه الإسلامي) وقد صدر منها أربعون مجلداً.

ومن الانجازات الطيبة التي قام بها مجمع الفقه الإسلامي لتفعيل حركة التواصل المعرفي بين المذاهب الإسلامية، ما قرره المجمع في دورته الثالثة المنعقدة بعمان ـ الأردن بتاريخ ٨ صفر ١٤٠٧هـ من تشكيل لجنة لدراسة مشروع تحت اسم معلمة القواعد

الفقهية يستهدف الدراسة المقارنة للقواعد الفقهية في شتى المذاهب، وبعد سنوات عقدت ندوة خاصة لمتابعة المشروع انتهت بالاتفاق على مقترح للوفد الإيراني يتلخص في أن يقوم ممثلو كل مذهب بانتخاب عمدة الكتب الأصيلة الفقهية والأصولية لديهم، ثم استخلاص القواعد منها، مع الإشارة إلى المصادر في كل كتاب، ويعتمد ذلك مرجعًا ومصدرًا لرأي المذهب على هذا الصعيد.

وقد أنجز الجانب الإيراني مهمته بتشكيل لجنة من الحوزة العلمية قامت بإعداد كتاب جامع للقواعد الأصولية والفقهية للمذهب الإمامي طبع في ثلاثة مجلدات، عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

أما على الصعد الثقافي: فحركة التواصل بين مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها من مختلف المذاهب والتيارات أقوى وأنشط، فهناك أكثر من مؤتمر ولقاء يعقد كل عام في مختلف أنحاء العالم، لتناول قضايا الإسلام وأوضاع الأمة، وهناك عدد من المجلات الفكرية الثقافية: العامة أو المتخصصة التي يشارك في تحريرها كتاب من مختلف الاتجاهات والمذاهب في الأمة.

ضعف التواصل عقديًا

لكن مجال البحوث العقدية، وميدان علم الكلام، هو ما تشكو فيه حركة التواصل المعرفي بين مذاهب الأمة وتياراتها من الخمول والركود.

حيث لا يزال هذا الميدان ساحة للصراع، ومعتركًا للنزاع، تسود أجواءه حالة التوتر، وتسيطر على حركته حالة التشنج.

ويبدو لي أن العلماء الناضجين في الأمة لم يولوا هذا المجال ما يستحق من عناية واهتمام، وتركوه لتفاعلات تراث العصور الماضية، بما فيه من خصومات وخلافات، فأصبح ساحة للقوى المتطرفة المتعصبة من مختلف المدارس والمذاهب.

وأكبر شاهد على ذلك كتابات التهريج ضد هذا المذهب أو ذاك، وفتاوى التفكير ضد هذه الطائفة أو تلك، والمناظرات غير العلمية التي تبثها بعض الفضائيات، والمشتملة على كثير من الإثارات والمهاترات التي تؤجج نار العداوة والبغضاء بين المسلمين.

وعلى شبكة الانترنت تخصصت مواقع طائفية كثيرة لتبادل الاتهامات والمطاعن والسباب والشتائم.

ولا شك أن القضية العقدية هي الأكثر أهمية على المستوى الديني، فهي أساس الدين وجوهره وعمقه وأصله، كما أن لها تأثيرها الكبير على مشاعر الإنسان وتوجهاته السلوكية والعملية.

وإذا كان التعارف والتواصل مطلوبًا بين أبناء الأمة في مختلف المجالات، فهو في المجال العقدي أكثر أهمية وفائدة.

وذلك للأسباب التالية:

أولاً: يساعد الإنسان المسلم على اكتشاف الحق ومعرفة

الصواب في مسائل العقيدة، عن طريق اطلاعه على مختلف الآراء، وفهمه لأدلتها، فليس صحيحًا أن يسترسل الإنسان في معتقداته مع ما ورثه من آبائه وأجداده، أو ما ألفه في بيئته ومحيطه، دون بحث و تمحيص، ودليل وبرهان.

ثانيًا: إن القراءة الموضوعية لآراء الفرق والاتجاهات العقدية الأخرى، تمكّن الإنسان من معرفة الآخرين على حقيقتهم وواقعهم،بينما تكون القطيعة المعرفية سببًا للجهل بالآخر، ورسم صورة غير دقيقة عن توجهاته.

إن بعض المسلمين يسيئون الظن ببعضهم الآخر، ويحكمون عليهم أحكاماً جائرة، بناء على مقدمات خاطئة، ومعلومات مغلوطة، قد تؤخذ عن طريق مناوئيهم وخصومهم.

وهذا ما حذر منه القرآن الكريم : ﴿فتبيّنوا أن تصيبوا قومًا بجهالةٍ﴾ .

ولعل أكثر المصادر التي تتحدث عن الملل والنحل، والمذاهب والفرق، مصابة بهذا الخلل الكبير، والمؤسف أن مصدرًا حديثًا هو (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة) أصدرته مؤسسة إسلامية عالمية هي (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) وروجته بشكل مكثف وبطبعات متكررة، لكنه يقدم سائر المذاهب والاتجاهات الإسلامية المخالفة للنهج السلفي، بصورة مشوهة، وبأسلوب يقطر حقدًا وتعصبًا.

وكأن الجهة التي أصدرته تريد نشر الخصومة والعداوة بين أجيال الأمة المعاصرة. وما نأمله هو سرعة المبادرة لإعادة النظر في مواد هذه الموسوعة من قبل الجهة التي أصدرتها.

إن مثل هذه الجهود المحزنة تؤكد ضرورة الانفتاح والتواصل المعرفي المباشر بين المدارس الكلامية والاتجاهات العقدية في الأمة، وخاصة على صعيد النخبة العلمية.

ثالثًا: إن التواصل العلمي، وتدارس القضايا بموضوعية وإخلاص، على أي صعيد ديني ومعرفي، يتيح المجال لبلورة الرأي، وتكامل الفكر، وحل العقد، ومعالجة الثغرات.

وكما يمكن التقارب والتكامل في معالجة قضايا الفقه والثقافة، فإنه يمكن الوصول إلى بعض المعالجات وتصحيح بعض الآراء في المسائل الكلامية والعقدية، خاصة وأن بعض الخلافات كانت تغذيها عوامل سياسية ومصلحية، في التاريخ الماضي، وقد تجاوزتها الأمة.

رابعًا: هناك مسائل جديدة في علم الكلام تشكل تحديًا أمام العقيدة الإسلامية ككل، وهي تستوجب تعاونًا بين علماء الأمة المتخصصين من مختلف المذاهب، لتوضيح الرؤية الإسلامية تجاه هذه المسائل المطروحة في أذهان الجيل المسلم المعاصر.

لهذه الأسباب وغيرها يتوجب الاهتمام ببعث حركة علمية معرفية، للتواصل والانفتاح بين علماء الأمة المهتمين ببحوث العقيدة وعلم الكلام، من مختلف المدارس والمذاهب.

مقترحات للتواصل

إن ساحة الأمة وخاصةً في هذا العصر الذي تشتد فيه التحديات، وتتسم أجواؤه بالانفتاح المعرفي، بحاجة إلى مبادرات جريئة لكسر حالة الجمود والقطيعة على الصعيد العقدي معرفيًا، وتوفير فرص التواصل العلمي، وعرض الآراء والأفكار بموضوعية وإنصاف، ويمكن أن تكون المقترحات التالية سبيلاً للتواصل:

١ـ إنشاء كلية لدراسة العقائد وعلم الكلام المقارن على نسق دراسة علم الفقه المقارن.

٢ـ تشكيل مؤسسة علمية إسلامية، تهتم بالدراسات والبحوث العقدية، بمشاركة علماء ومفكرين يمثلون مختلف المدارس الكلامية في الأمة، على غرار مجمع الفقه الإسلامي. ونتمنى تكرار التجربة الرائدة لمجمع الفقه الإسلامي التي سبقت الإشارة إليها: من تكليف ممثلي كل مذهب بتقديم رأي مذهبهم على صعيد القواعد الأصولية والفقهية، نتمنى حصول مثل ذلك على الصعيد العقدي أيضا، بأن يقدم العلماء من كل مذهب آراءهم العقدية والكلامية بأسلوب علمي موثق، ليكون ذلك هو المصدر والمرجع لدى الآخرين عنهم.

٣ـ إصدار مجلة متخصصة ببحوث علم الكلام والدراسات العقدية، تنفتح على مختلف التوجهات، بنشر كتاباتها العلمية، وإجراء الحوارات مع شخصياتهم المعرفية.

عقد مؤتمرات تخصصية تناقش قضايا العقيدة وعلم الكلام، تشارك فيها مختلف المدارس، ويبحث كل مؤتمر قضية محددة، مثلاً: مسألة العصمة، أو القضاء والقدر، أو أسماء الله وصفاته، أو الإمامة.. وكذلك بحث المسائل الجديدة في علم الكلام كالتعددية الدينية، والعلاقة بين الدين والعلم، والهرمنوتيك أو تفسير النصوص.

قد يقال إن ما تواجهه الأمة من تحديات سياسية واقتصادية أولى بالاهتمام من هذه البحوث النظرية، لكني أجيب مع إدراكي لخطورة التحديات المذكورة، بأن إهمال ساحة البحث العقدي، يسبب الكثير من عوامل الخلل والإضعاف لقدرة الأمة على مواجهة تلك التحديات، ومن مظاهر الخلل إتاحة الفرصة للمتعصبين والمغرضين، ليعبثوا بوحدة الأمة، ويمزقوا صفوفها بطروحاتهم الطائفية المتشنجة، فلا بد من مواجهتهم بالطروحات العلمية الموضوعية.

كما أن لقضايا العقيدة تأثيراً لا يمكن إنكاره وتجاهله في نفوس أبناء الأمة، وتشكيل فكرهم الديني، وعلاقاتهم مع بعضهم، فلماذا نترك هذه القضايا الهامة خاضعة لتأثير الموروث التاريخي، وضمن حالة المفاصلة والقطيعة، ولغة الانفعال والعاطفة؟ أليس من الأفضل الارتقاء بالشأن العقيدي إلى لغة العلم والمعرفة، وضمن أفق التواصل والحوار.

القرآن دعوة إلى الانفتاح

لن تجد في ثقافة من الثقافات دعوة إلى الانفتاح المعرفي أوسع مما دعت إليه الآية الكريمة: ﴿الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الّذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾.

إنها تزفّ البشارة من الله تعالى لمن يتّصفون بالانفتاح على المعرفة، وممارسة النقد والتقويم الموضوعي، فهم يبحثون عن الآراء والأفكار، حيث ﴿يستمعون القول﴾، والاستماع درجة متقدمة على السماع، لأن الاستماع يدل على قصد واهتمام بينما السماع قد لا يكون كذلك. وبعد الاستماع والاطلاع على مختلف الآراء، تأتي مهمة النقد والتقويم، لاختيار الرأي الأصوب والفكرة الأصح ﴿فيتّبعون أحسنه﴾.

فالانفتاح المصحوب بإعمال الفكر، واسترشاد العقل، لا خوف منه ولا ضير فيه، بل هو طريق الهداية إلى الحق والخير.

قال ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة: "والتعريف في (القول) تعريف الجنس، أي يستمعون الأقوال مما يدعو إلى الهدى مثل القرآن وإرشاد الرسول(ص)، ويستمعون الأقوال التي يريد أهلها صرفهم عن الإيمان من ترهات أئمة الكفر فإذا استمعوا ذلك اتبعوا أحسنه وهو ما يدعو إلى الحق".

وفي الآية الكريمة دلالتان هامتان:

الأولى: تأكيد الثقة بعقل الإنسان، فهو المرجعية المعتمدة للتمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر.

الثانية: الثقة العالية للدين بأحقيته وأفضليته، لذلك فهو لا يخشى من انفتاح أبنائه على غيره من الأديان والآراء، إذا ما عرفوا حقائق الدين واستخدموا عقولهم في المقارنة والتمييز.

وهناك نصوص دينية أخرى، تشجع الإنسان المؤمن على أن يتطلب كل فكرة نافعة، بغض النظر عن مصدرها. كالحديث الوارد عن رسول الله(ص) "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"، وروي عن الإمام علي بن أبي طالب(ع) قوله: "الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها". وفي كلمة أخرى عنه(ع): "الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق".

مع وضوح هذه الرؤية الإسلامية إلا أن حالات التعصب المذهبي حين أصابت بعض أوساط نخب الأمة بدأ الانغلاق والقطيعة المعرفية فيما بين المدارس والاتجاهات الفكرية في الأمة.

ومن المؤسف أن نقرأ لبعض علماء المسلمين أنهم يفتخرون بتجاهلهم للرأي الآخر، وإعراضهم عن مجرد قراءته والاطلاع عليه.

فمثلاً نقرأ ما كتبه الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ) وهو عالم مؤلف شهير، حينما يترجم في كتابه (سير أعلام النبلاء) للشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي (توفي ٤١٣هـ) وهو من أبرز علماء الشيعة ومقرري آرائهم العقدية، فإن الشيخ الذهبي يحمد الله تعالى أنه لم يقرأ شيئًا من مؤلفات هذا العالم الذي يمثل مدرسة فكرية

عقدية في ساحة الأمة.

والغريب أن الشيخ الذهبي ينقل كلمات الإشادة والإطراء من قبل العلماء والمؤرخين بشخصية الشيخ المفيد، وأن من صفاته الاهتمام بالإطلاع على كتب المخالفين لمذهبه فيقرأها ويحفظها!!

يقول الذهبي: "عالم الرافضة، صاحب التصانيف، الشيخ المفيد، واسمه: محمد بن محمد النعمان، البغدادي الشيعي، ويعرف بابن المعلّم، كان صاحب فنون وبحوث وكلام واعتزال وأدب، ذكره ابن أبي طي في تاريخ الإمامية، فأطنب وأسهب وقال: كان أوحد في جميع فنون العلم: الأصلين والفقه والأخبار ومعرفة الرجال والتفسير والنحو والشعر. وكان يناظر أهل كل عقيدة مع العظمة في الدولة البويهية، والرتبة الجسيمة عند الخلفاء، وكان قوي النفس كثير البر، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، يلبس الخشن من الثياب، وكان مديمًا للمطالعة والتعليم، ومن أحفظ الناس. قيل: إنه ما ترك للمخالفين كتابًا إلا وحفظه، وبهذا قدر على حل شبه القوم، وكان من أحرص الناس على التعليم.. إلى أن قال: مات سنة ثلاثة عشر وأربع مائة، وشيّعه ثمانون ألفًا، وقيل بلغت تواليفه مائتين، لم أقف على شيء منها ولله الحمد".

وقد تجد مثل هذه الحالة في أتباع مختلف المذاهب، فلابد من توفير أجواء دافعة للتواصل، لتتجاوز الأمة حالات القطيعة، وعوامل الفرقة والتمزق.

الحوار الداخلي أولى

*
يوسف القرضاوي

تنادى الكثيرون في المشرق والمغرب – ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ – إلى الحوار بين الأديان، وخصوصا الدينين الكتابيين الكبيرين: المسيحية والإسلام.

وتجاوب الكثيرون مع هذه الدعوة، والتقى المسلمون والنصارى في عدة لقاءات ومؤتمرات في أكثر من بلد، وشاركتُ شخصيًا في حضور مؤتمرين كبيرين: أحدهما: في روما بدعوة من جمعية سانت جديو الشهيرة، وهو المؤتمر الذي سموه (القمة الإسلامية المسيحية) نظرًا لأهمية الذين شاركوا فيه من الجانبين.

والثاني: كان في القاهرة بدعوة من المجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة ومنتدى الحوار الإسلامي، وكان التركيز فيه على نصارى الشرق أكثر من غيرهم.

كما شاركتُ في مؤتمرات ولقاءات أخرى، وإن لم تكن على هذا المستوى.

تعالت أصوات كثيرة داخل العالم الإسلامي تنادي: لماذا لا يتحاور المسلمون بعضهم مع بعض أليس هذا من الأولويات؟ أليس الحديث يقول:"ابدأ بنفسك ثم بمن تعول"؟

---

* - عالم وداعية معروف.

نرى: هل ما بيننا نحن المسلمين بعضنا وبعض من الخلاف أوسع وأكبر مما بيننا وبين أهل الأديان الأخرى؟ ولماذا إذن لا نتحاور، بغية التفاهم والتقارب؟

ولاشك أن منطق الدين والعلم والواقع يؤكد: أن حوار المسلمين بعضهم مع بعض أحق وأولى بالاهتمام، وإذا كنا مأمورين بالحوار مع مخالفينا من أهل الديانات الأخرى، بقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل: ١٢٥ أفلا نحاور من تجمعنا به العقيدة الواحدة، والقبلة الواحدة، وكلمة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)؟

لهذا أعتقد أن اهتمامنا بالحوار الإسلامي المسيحي، لا يجوز أن يزيد على اهتمامنا بالحوار الإسلامي الإسلامي. ولاسيما بين الفئتين الكبيرتين: السنة والشيعة، بغية التقريب بينهما بالحق لا بالباطل.

إن اللقاء والحوار وتبادل الأفكار، يساعدنا على أن يفهم بعضنا بعضًا، ويقترب بعضنا من بعض، ويزيل الجفوة، وينشئ المودة، ويجلو كثيرًا من الغوامض، ويزيح الكثير من الشبهات، وذلك إذا خلصت النيات، وصحت الأهداف، وقويت العزائم، وغلب العقل على الهوى، والحكمة على التهور، والوسط على الشطط.

على أن هنا عاملا مهمًا يدعو الأمة كلها، بجميع مذاهبها ومدارسها وطوائفها أن تتقارب وتتلاحم وتتضامن فيما بينها. وهو

الخطر الداهم الذي يهدد الأمة جمعاء، إن لم نقف له بالمرصاد. إنه خطر تجمعت فيه اليهودية والصليبية والوثنية، رغم ما بين بعضها وبعض من خلافات، ولكن جمعهم العدو المشترك وهو الإسلام، وصدق قول الله تعالى: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين﴾ الجاثية: ١٩.

وإذا جاز للأمة – وما هو بجائز – أن تفترق في أيام الرخاء والعافية، فلا يجوز لها أن تتفرق في أيام الشدة والبلاء، فإن الشدائد تجمع المتفرقين، والمحن توحد المختلفين، والأخطار تقرب المتباعدين. ورحم الله أحمد شوقي حين قال: إن المصائب يجمعن المصابينا!

نحن المسلمين: نملك ذاكرة تاريخية موثقة لا تملكها أية أمة، وتخزن هذه الذاكرة صوراً لا حصر لها من الأحداث والمواقف، الإيجابية منها والسلبية. يشهد الخط البياني لمسيرتنا التاريخية تارة صعوداً يفاخر به الأمم، ويزين جبين الدهر. ويشهد أحياناً هبوطاً مخجلاً يندى له الجبين. ونحن اليوم نرث كل تلك الإيجابيات والسلبيات، فما موقفنا منها؟ هذا يتوقف على مقدار ما فينا من حياة وإرادة. إن كانت مظاهر الحياة فينا ضامرة تسربت إلى أجسامنا سلبيات التاريخ، كما تسربت الجراثيم إلى الجسد الضعيف لتزيده ضعفاً وتفتك به، وإن كانت أمتنا طافحة بالحياة والحركة والإرادة قاومت تلك السلبيات ولفظتها ورفضتها واجتذبت الإيجابيات تتمثلها في حياتها وتتزود بها في مسيرتها، وتستلهمها في عملية بناء حاضرها ومستقبلها.

من افتتاحيات مجلة رسالة التقريب

سؤال بشأن الإمام الحاكم

• السؤال: الصور المثالية لا يمكن أن تتكرر، وهل نجحت الجمهورية الإسلامية في تقديم نموذج الإمام الحاكم؟ • في الجواب: لا يدعي أحد هنا أنه بلغ ذروة الإمام علي • بيت السيد القائد خال تمامًا من فضول العيش • زوجته ليس لها حلي أبدًا • بيته خال من السجاد تمامًا • يعيش الرجل في مستوى معيشي أقل مما كان عليه قبل إقامة الجمهورية الإسلامية • المطلوب من مكتب السيد القائد توثيق هذه الحياة للأجيال القادمة.

في العدد السابق من "ثقافة التقريب" قدمنا صورة موجزة عن علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره الإمام الحاكم، وما قدّمه الإمام من نموذج للترفّع عن المال والمتاع. فجاءنا تساؤل من قارئ ضمن رسالة طويلة يذكر فيها مشكورًا عدم إمكان إعادة مثل هذه النماذج إلى الحياة، مستدلاً على ذلك بأن الظروف اختلفت، والصور "المثالية" للتاريخ الإسلامي ـ على فرض صحتها ـ لا يمكن أن تكون "واقعية" فهي لا تتناسب مع طبيعة الإنسان وطبيعة الحياة.. ثم يتساءل بأدب جمّ: هل استطعتم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن تقدّموا نموذجًا ولو قريبًا مما ذكرتم للإمام الحاكم؟!

وفي الإجابة على هذه الرسالة الكريمة نقول:

أولاً: الحديث عن "المثالية" و"الواقعية" يدخلنا في دراسات فلسفية لسنا بصددها في "ثقافة التقريب" ولكن نقول باختصار إن منهج الإسلام واقعي لأنه يرتبط بفطرة الإنسان، وواقعية الإنسان فيها جانب مادّي، وفيها جانب روحيّ يؤهله إلى كمال لأحد له ولا حصر، وهذا الجانب الروحي واقعي أيضاً.

ثانياً: لا يدّعي أحد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية أنه يبلغ ذورة الإمام علي(ع)، ولكن كاتب هذه السطور من خلال اطلاعه على الواقع الإيراني يرى أناساً على كافة المستويات يعيشون لله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وهم غالبًا جنود مجهولون إما في شخصياتهم، أو في طريقة معيشتهم.

ثالثًا: دعانا السؤال لنذكر لصاحب الرسالة وللقراء الكرام جانبًا من حياة السيد القائد العبد الصالح الإمام الخامنئي، وهو الجانب الذي ظلّ مجهولاً لأسباب معروفة عسى أن نفتح بهذه السطور نافذة على حياة هذا الرجل، التي تعتبر بحقّ من مفاخر ما قدّمه الإسلام في تربية الإنسان وترفّعه مهما كان موقعه.

نذكر بداية أنّ السيد الخامنئي يأبى أن يتحدث عن حياته الخاصّة ولكن حين أصرّ عليه أحد تلاميذه الذين يجلسون معه في مجلسه الأدبي العربي (وهو مجلس كان السيد يتناول فيه مختلف شؤون الثقافة والأدب باللغة العربية) تحدث عن جانب من حياته السياسية والثقافية والعلمية، وحين أصرّ عليه ثانية

للحديث عن حياته الخاصّة قال باللغة العربية ما نصّه ضمن حديث طويل، مؤكدًا دور أم مصطفى (زوجه) في حياته الخاصة، وهو تأكيد له مدلوله الكبير:

"... من الوفاء أن أقف ولو قليلا عند دور زوجتي في حياتي، فهي - أولا - تتمتع برباطة جأش ومعنويات قوية، لذلك ما رأيت عليها يومًا أي خوف أو ضعف أو انكسار رغم ما تعرّض له بيتنا مرارًا من هجوم الجلاوزة، ورغم اعتقالي أمامها مرات، بل رغم تعرّضي للضرب أمامها في منتصف الليل عند مداهمة بيتي لاعتقالي.

كانت تزورني في السجن بمعنويات عالية قوية. تبعث في نفسي خلال زياتها الثقة والاطمئنان. ولم يحدث أن أخبرتني وأنا في السجن بخبر يزعجني، ولا أتذكر أنها نقلت لي مثلا خبر مرض أحد الأبناء! أو شيئا يسوؤني عن الأهل والعائلة والوالدين.

ثم أذكر ثانيًا صبرها الكبير على تحمّل شظف العيش قبل الثورة، وإصرارها على بساطة المعيشة بعد انتصار الثورة الإسلامية.

بيتنا كان ولا يزال - ولله الحمد - بعيدًا كل البعد عما يوجد حتى في البيوت العادية من فضول العيش وبهارج الحياة. وللزوجة السهم الأوفى والدور الأكبر في ذلك.

صحيح أني بدأت حياتي بهذا الشكل ووجهت الزوجة في هذا الاتجاه، وأيقظت في نفسها هذه الروح، ولكن أقولها بصدق أنها سبقتني كثيرًا في هذا المضمار.

وفي ذهني صور كثيرة عن زهد هذه المرأة الصالحة، لا يحسن ذكر بعضها. ومما يكن ذكره أنها لم تطلب مني يومًا شراء ألبسة أبدًا، بل كانت تذكر لي حاجة الأسرة الضرورية جدًا من الألبسة، وتذهب هي وتشتريها بنفسها.

ولم تشتر يومًا حليًا لها أبدًا، كان لها حلي من بيت أبيها ومن إهداء بعض أقاربها باعتها جميعًا، وأنفقت أثمانها في سبيل الله تعالى. وهي لا تمتلك الآن أية قطعة من الحلي، ولا حتى خاتمًا عاديًا. وأذكر من حوادث بيعها الحلي أن الشتاء قرب في أحد السنين في مدينة مشهد حيث البرد يشتد، والناس يقبلون على شراء وقود التدفئة، وهو يومذاك الفحم بصورة خاصة. وفي مثل هذه الأوقات يراجعني عدد من المؤمنين ويضعون تحت تصرّفي مالاً لأشتري به الفحم وأوزعه على المحتاجين. وكنت عادة أشتري الفحم من دكان الفحام، وأضع ما أشتريه عنده، ثم أعطي حوالة لمن يحتاج ليأخذ الفحم من الدكان.

وفي تلك السنة، لم يراجعني أصحاب المال، بل راجعني الفقراء الذين يطرقون عادة أبواب العلماء في مثل هذه الأيام طلبًا للفحم، لكنهم كانوا يعودون من بيتي خائبين. غمني الأمر كثيرًا.

رأت الزوجة الحالة، فاقترحت عليّ أن أبيع معصمًا كان أخوها قد أهداه لها بمناسبة مولد أحد أبنائها. أَبَيتُ، لكنها أصرّت. أخذتُ المعصم، وحاولت أن أبيعه بأكثر ما يمكن، والصاغة عادة يشترون

الـذهب بـالوزن ولا يحسـبون أجـرة صـياغته. واتفـق أن جاءنـا إلى البيـت جـار وصـديق لنـا. ذكـرت لـه القصـة ليتشـجع علـى بيـع المعصم بأكثر ما يمكن. ذهب وباعه بألف وبضع مئة تومان، وقال: أنا أضيف إلى المبلغ مثله. فاجتمع عندي مبلغ جيّد اشتريت به الفحم، وزال همّ الأسرة، وبات أبوهم من بشاشته أبًا لضيفهم والأم من بِشرها أما، كما يروى عن الحطيئة.

كان هذا التحرر من فضول العيش له أكبر الأثر في حياتي لأنه ما استعبد الإنسان إلا هذه الزوائد الخارجة عن حد الضرورة، وحقًا ما يقوله الشاعر:

لقـــد دقّـــت ورقّت واسترقّت فضول العيش أعناق الرجال

لا بأس أن أذكر لكم أن الشيخ الرباني الأملشي كان صديقًا حميمًا لي، وكان زميلي في دروس الحوزة العلمية في قم لأعوام. جاء في صيف أحد السنين إلى مشهد، وكنت آنئذ أسكن في تلك المدينة، ولي بيت، غير أني تركت البيت في ذلك الصيف لأسابيع، وأقمت في مصيف قريب من المدينة. والحياة في مصائف مشهد بسيطة لا تكلّف شيئًا، ويستطيع طلبة العلوم الدينية في عطلهم الصيفية عادة أن يقيموا في بيوت أو غرف تلك المصائف بتكلفة هابطة قد تقل عن تكلفة الحياة في المدينة. قلت للشيخ الرباني يمكنك أن تقيم في بيتي وهو خال خلال الأسبوع عدا يومين. وكنت قد خصصت اليومين للجلسات مع الشباب القادمين من

أرجاء إيران. وكان البيت يمتلئ بهم من الصباح حتى الظهر. سلمته مفتاح البيت، وبعد أيام رآني وقال بعد أن شكرني: ظننت أن بيتك مؤثث، وما علمت أنك أخليت أثاثه وأخذتها إلى المصيف.. ولو كنت أعلم بذلك لذهبت إلى الفندق.. واسترسل في كلامه عاتبًا على نواقص الأثاث في البيت بلهجة تدل على العلاقة الوثيقة الحميمة بيني وبينه. عرفت القصة وقلت له: أنا لم آخذ من البيت شيئًا سوى عدد من البطانيات وعدد قليل من الصحون وكأس واحد وعدد من الملاعق.. أخذ ينظر إليّ بدهشة واستغراب وقال: ماذا تقول؟ قلت: نعم هذا ما عندي وأثاثنا كلّها هي التي تجدها الآن في البيت، ولا يوجد لديّ أثاث أكثر من هذا. ساد الوجوم على الرجل وهزّ رأسه وقال في دهشة ممزوجة بأسف على عتابه عبارات لا أزال أتذكرها.

ومثال آخر من حياتنا المعيشية أذكره لكم من فراش البيت. كان بيتنا مفروشًا بالسجاد كما هو المعتاد في البيوت الإيرانية غالبًا. لكني رأيت هذا السجاد من الزوائد فبعته، وأبقيت سجادتين فقط في غرفة ضيوف زوجتي، وقلت في نفسي: هاتان السجادتان بدلا مما كان في جهاز الزوجة من السجاد. حين عزمت على بيع السجاد، أخفيت الأمر عن عائلة الزوجة، وكان إخوانها وأخوالها من تجار السجاد وأعلم أنهم يمنعونني من ذلك. دعوت أحد الإخوان وهو موجود الآن في مشهد وقلت له: خذ هذا العدد من

السجاد وبعها واشتر لنا بدله بُسُط. والبساط في إيران فراش زهيد الثمن صغير الحجم. قال نعم، وكرامة. ذهب وجاء بالبسط، ففرش ثلاث حجر وبقي شيء كثير منها، لعل الذي فرشنا به الغرف لم يتجاوز تسعة بسط، وبقي منها ١٤ أو ١٥ بساطًا. قلت لأحد تلامذتي وهو الشهيد كامياب: إجلس في سيارة حاج صفاريان (وهو الأخ الذي باع السجاد واشترى لنا البسط) و وزّعْ هذه البسط على طلابنا، وأعط كل طالب بساطا أو بساطين حسب حاجته.. وفعل ذلك وربما لا تزال هذه البسط موجودة في بيوت بعض أولئك الإخوة.

ثم رأتْ زوجتي ما فعلتُ، ولم تزد على أن تقول: لماذا أبقيت السجادتين في غرفتي؟ قلت: هاتان بدل ما جئتِ به في جهازكِ. قالت: لا، بعهما أيضا. دعوت نفس الأخ وباع السجادتين. ثم فرشنا غرفة ضيوف الزوجة بقطعتين من الموكيت وكان في نظرنا آنئذ أفضل من البساط. ثم إن الزوجة أهدت أخيرًا قطعتي الموكيت ولم يبق في بيتنا حتى اليوم سوى البسط التسعة المذكورة، ولا يوجد في البيت سجاد إطلاقًا سوى استثناء واحد سأذكره لما فيه من طرافة.

بعد أن بعنا السجاد جاء أخوال الزوجة وإخوانها ورأوا ما فعلت استغربوا ولاموني على ذلك، وقالوا إن السجاد يبقى والبساط يبلى، وهذا ليس بزهد، بل هو الإسراف بعينه. قلت لهم: أولا لا

أعتقد أن الاقتصاد ينحصر في شراء السجاد دون البسط، ثم إني فعلت ذلك لأن هناك من يزعم أني قدوة له، ولذلك أفضّل أن أعيش على البساط أو الموكيت.

ثم قال أحدهم: يوجد سجاد هو أرخص من البساط، فلماذا لم تشتر مثل هذا السجاد؟ قلت: وهل يوجد مثل هذا السجاد؟ قالوا: نعم، هناك سجاد يطلق عليه تجار السجاد اسم الاقرع، وهو الذي ذهب صوفه في بعض جوانبه، وبقيت خيوطه. واذا أردت القناعة فاشتر مثل هذا السجاد. ذهبت واشتريت سجادتين قرعاوين. ولا تزالان موجودتين حتى اليوم، وهذا هو الاستثناء الذي ذكرته. والسجادتان هاتان مفروشتان في مكتبتي. فالبيت الذي أسكن فيه اليوم من طابقين، طابق للعائلة والطابق العلوي فيه غرفة لعملي وأخرى لاستراحتي وفيه صالة للمكتبة. والسجادتان مفروشتان في هذه الصالة. وهما تاريخيتان! ومن الطريف، أني كنت في مدة رآسة الجمهورية أسكن في بيت متواضع خلف مجلس الشورى. وكانت السجادتان مفروشتين في البيت، فجاء أحد الأصدقاء ورآهما، فسأل الأولاد: لماذا قلبتم السجادتين على القفا؟! ضحك الأولاد وقالوا: ليس هذا قفاها بل هو وجهها. وإنما ظنّ أنه قفاها لكثرة ماذهب من صوفها وبقيت خيوطها.

قلت أن هناك أمورًا في بيتنا لا يحسن لي ذكرها، وما استسيغ ذكره. وأكرر أن الفضل فيه يعود إلى منّة الله سبحانه وتعالى

علينا والى هذه الزوجة الصالحة، فإن مواقفها تجاه زخارف الدنيا وفضول العيش تحتاج إلى نفس كبيرة منّ الله سبحانه بها على هذه المرأة، وشملتنا هذه المنّة. في كل الظروف الصعبة التي واجهتها من سجن وتعذيب ونفي ومحاولة اغتيال، لم أَرَ على وجهها علامة انكسار، بل كنت أستلهم من عزمها وإرادتها ما يعينني على مواصلة الطريق.

حتى والدتي رحمها الله مع ما كانت عليه من الصبر والبصيرة والصلابة لم تكن بهذه الدرجة من التحمّل والصمود. أمّي، كانت شجاعة ومقدامة، وكانت تشجعني على مواصلة الجهاد، حتى أنّها قالت لي بعد خروجي من سجني الأول: أنا أفخر بك يا ولدي وأسأل الله لك التوفيق على هذا الطريق.. ولكنها عند تكرر السجون والاعتقالات رقّت وبدأت تكلمني بما يشبه العتاب على انقضاء فترة شبابي في السجون والمعتقلات. أما الزوجة فلا، لم يبد عليها أي ضعف أو ضجر أو ملل".

* * *

إذن هذه حياة الرجل قبل أن يتولّى زمام الأمور فهو قد تحرر هو وأسرته مما يتهافت عليه الآخرون من مال ومتاع.

وكيف يعيش السيد القائد الآن؟

قال مطّلع على حياته الخاصّة:

إن السيد الخامنئي بعد أن أصبح رئيسًا للجمهورية ثم بعد أن أصبح قائدًا للجمهورية يعيش في مستوى أقلّ مما كان عليه قبل

إقامة الجمهورية الإسلامية!!

بالمناسبة لم يستطيع الطاعنون والمرجفون أن يجدوا ثغرة ولو صغيرة في حياة السيد وأولاد السيّد في قضايا المال والثروة.. لسبب بسيط هو أنه لا يزال يردّد:

لقد دقّت ورقّت واسترقّت فضول العيش أعناقَ الرجالِ

نعم، هو يعيش بكل ما تتطلبه الضرورة من العيش، وهذا يكفي في رأيه. أما "فضول العيش" فلا..

قال رجل عاش مع السيد أمدًا مدّة رئاسة الجمهورية: "إنّ سماحته كان يتلقّى الهدايا من رؤساء الجمهورية عند زيارتهم إيران، ولكنه منذ بدء تولّيه المسؤولية أمر بإنشاء متحف لهدايا رئاسة الجمهورية، وكانت توضع فيها كل الهدايا دون استثناء.. والاستثناء الوحيد الّذي أوشك أن يتحقق ولم يتحقق هو أنّ أحد الرؤساء أهدى إليه صندوقًا ففتحه ورأى فيه مجموعة من الصحون والكاسات وأواني الطعام، تذكّر أن بيته بحاجة إلى مثل هذه الأواني، لأن زوجته تضطر إلى استعارتها من مكتب الرئاسة عند زيارة الضيوف. أرسلها إلى البيت، ثم لدى عودته إلى البيت وجد الصندوق على حاله، ورأى زوجته تنظر اليه متسائلة: ما هذا؟ حين أجابها وبيّن لها سبب إرسال الأواني، قالت: هل هذه الأواني تناسب معيشتنا؟ هل تناسب أثاثنا وستائرنا؟ وطلبتْ منه أن يعيدها، فأخذت مكانها في المتحف.

وقال لنا من له اطلاع على حياة السيد الداخلية هذه الأيام

(أيام تولّيه القيادة): كفاك أن تعرف أن بيت الرجل يخلو من السجاد تمامًا، وكل بيت في إيران يحتوي على سجاد بدرجة وأخرى، وأن بيته يخلو من مراتب (فراش النوم) فالجميع ينامون على "الموكيت" إلاّ هو فبسبب آلام ظهره ينام على "بطانية" فقط!! والطعام في بيته في غاية الاقتصاد والزهد.

والمسؤولون في مكتبه يعرفون أنه لا يأخذ أي مرتّب أو مبلغ من الأموال الطائلة التي تحت تصرفه، بل يعيش فقط على ما قُدّم إليه من هدايا شخصية.

وهي قليلة عادة، ويضعها في مجرّ خاص ومنها ينفق على احتياجات البيت.. ولا يأكل من الطعام الذي يعدّه مكتبه للعاملين، إلاّ إذا حضره ضيف فيأكل معه من طعام المكتب. وأحيانًا يفتح المجرّ فلا يرى فيه شيئًا فيضطر إلى الاقتراض، ريثما يصله ما يسدّ القرض.

قيل له مرّة: لماذا لا تتحدث عن حياتك الخاصة كما تحدث الإمام علي (ع) عن طعامه وثيابه وتعامله مع المال؟ قال: إن الانغماس في المال والمتاع في حياتنا العامّة يخلق تشكيكًا بهذه المعلومات.

فهل لمكتب السيد القائد أن يوثّق هذه الحياة التي هي ملك للإسلام وفخر لأمة الإسلام، كما كانت حياة الأئمة العظام؟! وشكرًا للقارئ الكريم الذي فتح لنا باب هذا الحديث.

التقريب بين المذاهب الإسلامية
في ظل إطار جديد

أحمد كمال ابو المجد *

• الاختلاف يصبح نقمة حين تستولي شهوة التغلب على الآخر
• العلماء لا يستغنون عن الإحاطة بالواقع واستشراف المستقبل
• معرفة الواقع يكوّن أكثر من نصف الفقه • لا يمكن أن ننعزل في حوزة ثقافية مغلقة • الاستمرار في الشقاق أصبح خطيئة كبرى • لا يجدي الاكتفاء بالدعوة إلى جمع الكلمة دون ملامسة المشاكل الحقيقية.

الدعوة إلى التقريب بين المسلمين فيما اختلفت فيه مذاهبهم ومدارسهم الفكرية والاعتقادية والفقهية ليست أمرًا طارئًا ولا هي أمر جديد. فمنذ تجمعت حول المذاهب المختلفة جماعات مختلفة من المسلمين، ينحاز كل جمع منها إلى مذهبه، ولا يكاد يرى الحق والصواب إلا فيه، ولا يكاد يرى حقاً ولا صواباً في مذاهب الآخرين.. منذ وقع ذلك بدأ علماء الأمة وحكماؤها يشفقون أشد الإشفاق من عواقب هذا التفريق. مدركين أن الاختلاف في الرؤية والرأي قد يكون رحمة ونعمة، حين يلتزم أصحابه منهجاً علمياً وأخلاقياً صارماً في التعامل معه، وفي إدارة الحوا ر«بالتي هي

* - مفكر مصري.

أحسن» حول مواضع ذلك الاختلاف. ولكنه ينقلب إلى «نقمة» تنذر بأخطار جسيمة على الأمة كلها، حين تزيله روح السماحة والعدل، وتختلف عنه الموضوعية، وتستولي على أطرافه شهوة التغلب على الآخرين. حينئذ يوشك الأمر أن يؤول إلى الحال التي وصفها سبحانه بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾، وهذه البراءة الإلهية والنبوية من الذين فرقوا دينهم لم تأت إلا بعد قيام الحجة على الأمة، خاصتها وعامتها، أمرائها وعلمائها، بقوله تعالى لهم جميعًا: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

وإذا كان صحيحًا أن العلماء المحققين والعارفين المخلصين قد تنادوا بالدعوة إلى التقريب منذ بواكير التاريخ الإسلامي، فإن اللقاء الذي يتم هذه الأيام تجديداً لهذه الدعوة، وسعياً للوصول بها إلى نتائج عملية تجني الأمة ثمراتها الطيبة.. هذا اللقاء يتم في إطار ملابسات جديدة تمامًا، يتصل بعضها بعالمنا الإسلامي والعربي، كما يتصل بعضها الآخر بالأوضاع العالمية التي تحيط بالناس جميعًا، مسلمين وغير مسلمين.

لذلك لا يستغني هذا الجمع الكريم من علماء الأمة وخبرائها عن الإحاطة الدقيقة بعناصر هذا الواقع الجديد، كما لا يستغني عن استشراف صورة مستقبل الأمة وسط طوفان الحركة السريعة التي انتابت كثيراً من عناصر الواقع داخل العالم

الإسلامي وخارجه، مما كان يعتبر – في نظر كثير من الباحثين والدارسين – من الثوابت التي يفترض استمرارها في الوجود عشرات أو مئات أخرى من السنين، وما أظن أننا نجاوز حد الاعتدال في محاولة تشخيص الأزمة والخروج من نفقها المظلم إذا نحن ذكرنا من بين هذه الأسباب قصور كثير من العلماء والساسة عن إدراك مدى التغير الذي طرأ على العالم من حولنا، والاستمرار في محاولة الخروج من الأزمة بإتباع مناهج العمل وأساليبه التي كانت صالحة لتحقيق هذا الهدف في أزمان قديمة، ولكنها لم تعد صالحة لذلك في ظل ماطرأ على كثير من عناصر الواقع من تغيرات كبيرة عظيمة الأثر على مجمل علاقات القوى داخل المجتمعات الإسلامية ذاتها، وفي علاقة تلك المجتمعات بالدنيا من حولها. إن التوجه لتحقيق التقريب بين الأفكار والمذاهب والمدارس العلمية والفقهية في زماننا – محتاج إلى اجتهاد جديد وفق منهج علمي سديد. وهل يكتمل الاجتهاد بغير معرفة الحق، ومعرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر كما كان يقول ابن قيم الجوزية.

إن المعرفة الدقيقة بعناصر«الواقع» والإحاطة باتجاه حركة التغيير، الذي طرأ ولا يزال يطرأ على تلك العناصر قد صار يكوّن – فيما نرى – أكثر من نصف«الفقه» ونصف أدوات«الاجتهاد» المنشود.

إننا – أيها السادة العلماء – نعيش عصرًا جديدًا بكل المعايير، وليس صحيحًا ما يحتج به البعض من أن أهل كل عصر يرونه جديدًا، ويرونه فاصلا بين مرحلتين مختلفتين. ذلك أن عصرنا هذا قد شهد خلال نصف القرن الأخير ثورات وقفزات علمية هائلة متعاقبة ومتراكبة في ميادين الانتقال والاتصال والمعلومات، وميادين أخرى عديدة من ميادين العلم والصنعة وأدوات الحرب والقتال، ترتب عليها أمران خطيران:

أولهما: أن الحواجز بين الناس والشعوب قد تهاوت، بعد أن طوى العلم المسافات، فالتقى ماء الحضارات المختلفة على أمر قد قُدر. ولم تعد عزلة البعض عن البعض ممكنة، حتى لو كانت في نظر البعض جائزة أو نافعة، وصار أبناء الثقافات المختلفة يواجه بعضهم بعضًا بلا حاجز ولا وسيط، وبدأ الناس يتساءلون في إشفاق وتوجس: أيكون هذا اللقاء لقاء تعاون على البر والخير وما ينفع الناس، كل الناس. أم يكون لقاء عداوة وصراع ومحاولات ضارية للاستئثار بخيرات الدنيا وثمرات العلم، استئثارًا يستعبد به الآخرون، كل الآخرين؟. لقد زالت الحُجُب والسُتُر التي كانت تزيّن لنا – نحن المسلمين – أن في وسعنا أن نقضي عمرنا كله، وعمر أجيالنا من بعدنا، في حوزة ثقافية مغلقة لا يدخلها علينا أحد إلا برضانا وإذننا. وصار علينا – فجأة – أن نواجه طوفاناً من«الوافدين»، ناسًا من الناس. وأفكارًا غير أفكارنا. وقيمًا غير

القيم التي أقمنا عليها حياتنا كلها، وأدرنا بها شؤوننا كلها، لقد صار علينا اليوم – نحن المسلمين – أن نتذكر من جديد ما علمه الإسلام للمؤمنين به من أول يوم، من أنهم ليسوا وحدهم في هذه الدنيا، وأن تعدد الأجناس والألوان، واختلاف الألسنة والعقائد والأفكار سنة من سنن الله في خلقه وناموس من نواميسه في هذا الكون. وأنه سبحانه أراد بهذا التنوع أن يتبادل الناس الخبرة، وأن يتعاونوا على البر والخير، متسابقين إلى ذلك، ومتنافسين فيه ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات﴾ (المائدة: ٤٨).

ثانياً: أن انهياراً حاداً ومفاجئاً قد وقع في التوازن الدولي مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي . وذلك بسقوط ماكان يسمى المعسكر الاشتراكي الذي كان – بغض النظر عن محتواه الأيديولوجي وناظمه السياسي والاقتصادي، يحقق توازناً في العلاقات الدولية تستفيد منه الدول النامية والصغيرة، وبانهيار ذلك المعسكر انفرد القطب الدولي الأخير بموضع الصدارة والقيادة والقدرة على التأثير المباشر على العلاقات الدولية، مانحاً نفسه حق التدخل في شؤون الآخرين، وفرض هيمنتهم عليهم وعلى قراراتهم السياسية والاقتصادية والثقافية. ولقد تمكن هذا القطب الواحد – حتى الآن – من فرض هيمنته هذه بما كان قد توفر له، من تقدم علمي وتقني هائل، وقوة اقتصادية ضخمة، وآلة

عسكرية بالغة التقدم والتفوق.

وإذا كان جائزًا – وهو في الحقيقة غير جائز – أن يشتغل المسلمون بخلافاتهم التاريخية والجديدة في ظل النظام الدولي القديم، وفي ظل إمكان الانسحاب إلى حوزة مغلقة تعفيهم – في ظنهم – من التواصل النشط مع غيرهم من الأمم والشعوب، فإن الاستمرار في هذا «الشقاق» الثقافي والسياسي قد أصبح خطيئة كبرى بكل المعايير، لا يحمل عامة المسلمين إثمها، وإنما يحمله الأمراء والساسة والعلماء.

ومن عجب أن ينتبه كثير من علماء المسلمين وساستهم إلى ضرورة التواصل مع أبناء الحضارات المعاصرة، ساعين إلى تضييق شقة الخلاف بين المسلمين ومن عداهم، وألا يصاحب ذلك بل يسبقه سعي مماثل لحوار إسلامي إسلامي، يهدف إلى تضييق شقة الاختلاف بين فئات المسلمين وطوائفهم ومذاهبهم ومدارسهم الفكرية المختلفة.

ومما يدهشنا ويؤسفنا أن كثيرًا من الباحثين يتجنبون – في هذا المقام – الخوض في المشاكل الحقيقية ذات الوزن، إشفاقاً على أنفسهم من عواقب التعرض لها، مكتفين بالدعوة العامة إلى جمع الكلمة، أو بتناول قضايا تظل ثانوية القيمة والأثر إلى جانب المشاكل الحقيقية الكبرى. ولاشك عندنا في أن أكبر خلافين يتوزعان المسلمين – في عصرنا هذا – ويبددان طاقة الأمة هما

الخلاف العقائدي والمذهبي بين السنة والشيعة. والاختلاف الفقهي بين مدرسة في الفقه تلتزم حرفية النصوص وتتشدد في تطبيقها ويطلق الناس عليها، وعلى روافدها المختلفة اسمًا واحداً لا يكشف عن المضامين والرؤى والمناهج التي تقوم عليها تلك المدرسة، وأعني بذلك مصطلح (السلفية) الذي يعني في مجال العقيدة وأصول الدين شيئًا، ويعني في ميدان الفقه وأصوله شيئًا آخر، فضلا عن أنه مصطلح واسع فضفاض تلتقي تحت رايته روافد عديدة بينها من الاختلاف في المنهج المضمون ما لا يفيد معه البتة جمعها تحت مصطلح واحد.

ومدرسة أخرى تبحث عن الغايات الكلية والمقاصد الكبرى للتشريع، كما تبحث عن أدوات للاجتهاد تعين على تحقيق المصالح المتجددة للأفراد والجماعات، انتباها إلى أن الفتوى لا تكون محققة لتلك المصالح إلا إذا أدخلت في حسابها اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال. وأن الغفلة عن مقاصد الشريعة ومصالح المخاطبين بها مفضية لا محالة إلى وقوع العنف والحرب اللذين يجافيان روح التيسير التي قام عليها الإسلام كله ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

أمل وعنفوان

• هذه القصيدة أنشدها فضيلة الشيخ محمد علي التسخيري في جلسة خاصة بالشعر الفلسطيني رعاها العبد الصالح الإمام الخامنئي حيث جلس مع الشعراء العرب والإيرانيين أربع ساعات • كانت الجلسة على هامش المؤتمر العالمي للقدس ومساندة الشعب الفلسطيني (طهران ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ /١٤ نيسان ٢٠٠٦) •علق الشاعر اللبناني شوقي بزيع على هذه القصيدة في مقال نشره في جريدة السفير اللبنانية تحت عنوان : "أربع ساعات في ضيافة الإمام" قائلاً : فاجأ آية الله محمد علي التسخيري الحضور بمعرفته الوثيقة باللغة والشعر العربيين، وقرأ بالعربية قصيدة عارض فيها الأخطل الصغير :

الحضارات استقت من نبعنا / فيباب أرضها لولا روانا

بعث الإسلام فينا ثورة/ سائل العلياء عنا والزمانا.

من ولا الطهر ومن طهرولانا ... رقصت في مسرح الذكرى مُنانا

كم سكبنا خمرها في أكؤسٍ ... حالمات كنّ غازلن رؤانا

ومشينا نعصر القلب طلىً ... لنروّي شفة الشعر بيانا

إيه غصن الشمس، في عالمنا ... ظمأٌ للنور، أورِقْ في دُنانا

وأعد يوم الجهاد الحر، إذ ... فيه أبطال السرايا تتفانى

أعينٌ سمّرها العزم على المجد ... فلا تبصر وإلاّه مكانا

أحـــرفٌ يعشـــقها الطهـــرُ ... ويعلقهـا القلـب ويفـديها رجانـا

روّضـتها لغـة الصـبر علـى ... أن تقـول الحـق سـراً وعيانـا

حملـت مـا شـرح الله لهـا ... ومضـت تنشـر حبّـاً وحنانـا

بينمـا الكـون جمـود واجـمٌ ... يعشـق العُـتم ويسـترّ الهوانـا

إذ بنـا والـدين قـد أنبتنـا ... نـزرع الأرض حقـولاً وجنانـا

الحضـارات اسـتقت منـا الغنـا ... فيبـابٌ أرضـها لـولا ريانـا

يـوم سـرنا موكبًـا كـانوا لـه ... قـادة يُـومي إلى النصـر.. سـرانا

الفـدا والعـزّ إمّـا ظمئـا ... رقـص الينبـوع مـن فـيض دمانـا

ولوانّـا خـافق يطـوي المـدى ... ليشـع الفـتح في خفـق لوانـا

بعـث الإسـلام فينـا ثـورة ... سـائل العليـاء عنهـا والزمانـا

دفقـات النـور في تـأريخهم ... حـدّثينا، منـك نسـتاف عُلانـا

عـن أنـاس أخلصـوا لله في ... كـل شـيء فَهُـمُ أتقـى جِنانـا

عـن سـفين رقـص المـوج لهـا ... وانحنـى البحـر جـدالاً وتـدانا

عن بناة الدين أهل البيت من ... شـدّنا الله إلـيهم ودعانـا

غمـروا الكـون عطـاءً وهـدىً ... وأحـالوا الأرض ورداً، أقحوانـا

أظلـم التـأريخ، حتـى طلعـوا ... فجلـوه فتجلّـى لمعانـا

أعلـن الهـادي ولاهـم سـنّة ... رحمـةً كـان ولاهـم وامتنانـا

إن تمسـكتم، بلغـتم هـديكم ... فتمسـكنا فأعطينـا هـدانا

لـن تضـلّوا، أحـرف رائعـة ... قـدّمت للكـون بـالحق ضـمانا

فعجنّـا القلـب مـن حـبّهمُ ... ولهـم يـاكون، أسـلمنا العنانـا

آيــة الــتطهير وقــفٌ لــلأولى ... مــدّت العَليــا لعَليــاهم بنانــا

أمـــة الحـــق أعيـــدي أمـــلاً ... كــاد أن يغــدو ســراباً لرؤانــا

عــاقَر الهــمُّ مــدانا فمتــى ... يــزأر الوعــد فيختــال مــدانا

كــلّ شــعب قــد بلتــه محنــةٌ ... وتجلّــى حــين أدّى الامتحانــا

فــاخرجي يــا أمــتي ظــافرة ... مـن حضيض اليأس يجترُّ نهانا

وارجعـــي يـــا أمـــتي تائبـــة ... لرحــاب الله، واستســقى الأمانــا

أبــداً لــن نُبصــر النصــر إذا ... مـا غفونـا عـن هـدى الـرحمن آنـا

ذاك شــهر الفــتح قــد مرّبنــا ... فلنجلّـــل بخشـــوعٍ رمضـــانا

ليطــلّ الفــتح مــن بــدرٍ علــى ... شــفة القــدس يروّيهــا حنانــا

يبعـــث الصـــرخة في عالمنـــا ... هــو غــافٍ عــن طــلاب الثــأر لانــا

شـــرراً يبعـــث فينـــا عزمـــة ... قــد وعاهــا شَــممُ الــدهر فــدانا

شــرراً تشــتاقه تلــك الربــى ... ليحيــل الكفْــر نــاراً ودخانــا

ويعـــي التـــاريخ أنّـــا أمـــةٌ ... خُدشــت يومــاً فــزادت عنفوانــا

لابد من التأكيد على أن الطيف السلفي يضمّ فصائل ارتفع بعضها إلى مستوى المسؤولية فكان من دعاة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ومن دعاة الوحدة بين جميع المسلمين ولكن العقدين الأخيرين شهدا أيضا مع الأسف مواقف سلفية تتعارض تماما مع توجّه التقريب . بل شاهدنا من يستغلّ هذه المواقف لمصلحة سياسية تستهدف تفريق المسلمين.

من افتتاحيات مجلة رسالة التقريب

شبهات حول العلاقات العربية الإيرانية في العصر العباسي

• مخلّفات التعصب الأموي المعادي للإيرانيين كانت موجودة في هذا العصر، بل استمرت على مرّ العصور إلى يومنا هذا • ثمة مبالغات في إدخال الإيرانيين ضمن دائرة الشعوبية في هذا العصر • إن الذين تصدّوا للشعوبية كان بينهم إيرانيون. • في أخبار المتهمين بالزندقة ما يجعلنا نشكك كثيراً في زندقتهم •تهمة الزندقة كان وراءها غالباً عامل سياسي أو حسد اجتماعي، أو منافسة في جاه ومكانة

حول الشعوبية والزندقة والمجون

يتناول المعاصرون من كتّاب تاريخ الأدب موضوع الشعوبية والزندقة والمجون في هذا العصر باعتباره من الظواهر التي تأثر بها الأدب العربي. ويذهب كثير منهم إلى أن الإيرانيين كانوا وراء موجة الشعوبية وموجة الزندقة والمجون.

تحدثنا عن هذه الظواهر في دراستنا للعصر الأموي (الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي/ آذرشب ٢/ ١٧٦ ـ ١٨١). بالنسبة للشعوبية في هذا العصر نعتقد أنها لم تكن تياراً بل كانت ردود فعل بسيطة من بعض الإيرانيين تجاه مخلّفات تيار التعصب الاموي. ومن المؤكد أن مخلّفات التعصب الأموي

المعادي للإيرانيين كانت موجودة في هذا العصر، بل استمرت على مرّ العصور إلى يومنا هذا. ولكنها في هذا العصر بالذات قد خفّت إلى حدّ كبير بسبب ماحظي به الإيرانيون من مكانة في المجتمع الإسلامي على الصعيد الرسمي والعلمي والثقافي. وصور التعايش الضخمة التي نشاهدها في هذا العصر بين العرب والإيرانيين تدل على عدم وجود تنافر قومي بينهما، لكن هذا لا يعني طبعًا ـ كما ذكرنا ـ زوال مخلّفات التعصب الأموي، ولا يعني أن الإيرانيين لم يكن لهم ردّ فعل تجاه هذه الرواسب الجاهلية.

وردود الفعل لاتخلو عادة من إفراط بل أيضا من خروج على قواعد الأخوّة الدينية وتعاليم الإسلام، وهذا مانشاهده عند بعض الشعراء مثل بشار بن برد، وعند بعض الكتّاب من أمثال علاّن الشعوبي.

وثمة مبالغات في إدخال الإيرانيين ضمن دائرة الشعوبية في هذا العصر، كأن يقال عن أبي يعقوب الخريمي بأنه شعوبي، ولم يكن كذلك بل كان يطلب التسوية بين العرب وبين غيرهم من الشعوب. ونفس الشيء يقال عن أبي نؤاس مع أن حديثه عن العرب كان ناشئاً عن «الاستمتاع باللذات.. وقد مضى يصوّر ذلك بدعوته إلى الانصراف عن الحياة المبتدية الخشنة وما يتصل بها من بكاء الأطلال والوقوف برسوم الديار إلى الحياة الناعمة المترفة» (العصر العباسي الأول، شوقي ضيف / ٧٨).

وقد نجد من يحاول أن يضرم نار الصراع القومي بين المسلمين لغاية في نفسه، ولا يبعد أن يكون أبو عبيدة اللغوي الأخباري من هؤلاء خاصة إذا عرفنا أنه طعن في شخص الرسول(ص)، وأن أصله من يهود فارس!

والمهم أن نعرف أن الذين تصدّوا للشعوبية كان بينهم إيرانيون، وأن هذه الشعوبية كانت مقتصرة على أفراد، بينما كانت كانت العلاقة بين الإيرانيين والعرب في هذا العصر من أروع صور التمازج الشعبي والثقافي واللغوي والفكري والعاطفي في إطار الإسلام.

أما الزندقة فهي كلمة أطلقت بشكل عام على كلِّ ملحد لايؤمن بأصول الدين. وبسبب ترجمة الثقافات الأجنبية والنضج الحضاري نشطت الحركة الفكرية العقلية، وظهر في هذه الحركة مَنْ أعلن ماديته وأنكر الخالق، مثل عبد الكريم بن أبي العوجاء، وناظره الإمام جعفر الصادق(ع)، ولكن جلّ أصحاب الحركة الفكرية العقلية كانوا من المؤمنين مثل شيوخ المعتزلة.

وفي قائمة المتهمين بالزندقة في هذا العصر نجد إيرانيين وعرباً مثل: أبي شاكر الديصاني، وأبي نؤاس، وأبي مسلم الخراساني، وابن الراوندي، وابن مناذر، والبرامكة، والأفشين، وبشار بن برد، وحمّاد عجرد، وحماد بن الزبرقان، والحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس، وداود بن علي، وصالح بن عبد القدوس، وعبد

الكريم بن أبي العوجاء، وعبد اللّه بن المقفع، وعلي بن الخليل، وعبد اللّه بن معاوية بن عبداللّه بن جعفر، ومطيع بن إياس، ويونس بن أبي فروة، ويحيى بن زياد، ويزيد بن الفيض، ويعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن المطلبي، والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان... (الإسلام وإيران، مطهري / ٣٠٦).

ومؤرخو العصر العبّاسي صوّروا المهدي العبّاسي بطلاً في مكافحة الزنادقة، ادّعى أنّ جدّه العباس بن عبد المطلب أمره في المنام بقتل الزنادقة، فقتل كثيراً من الناس بهذه التهمة.

وفي أخبار المتهمين بالزندقة مايجعلنا نشكك كثيراً في زندقتهم، من هؤلاء بشار بن برد، فقد كان في بلاط الخليفة المهدي ومن سمّاره، حتى إذا هجا المهدي ووزيره يعقوب بن داود، أُخِذَ بتهمة الزندقة وضُرب حتى الموت.

ويظهر أن تهمة الزندقة كان وراءها غالباً عامل سياسي أو حسد اجتماعي، أو منافسة في جاه ومكانة. يقول الأستاذ أحمد أمين في مقدمة كتاب ابن المقفع: «فحيث ترى شخصية بارزة فَثَمَّ ترى مِنَ الجامدين مَنْ يرميه بالزندقة والإلحاد، وحيث ترى مفكراً قوياً يرمي إلى إصلاح اجتماعي خطير، فثم ترى أمامه اتهاماً بالخيانة وقلب نظام الدولة وماشئت من ألقاب. ومن أجل هذا كله أرى الاضطهاد والرمي بالزندقة في كثير من الأحيان رمزاً للشخصية أو النبوغ والعبقرية».

فالزندقة إذن لم تكن بالصورة التي رسمها مؤرخو العصر العبّاسي، لا في عدد الزنادقة ولا في إخلاص الحكّام الذين تعقّبوا الزنادقة، كما أنها لم تكن شائعة بين الإيرانيين رغم أنها نسبت إلى بعض الإيرانيين المتظاهرين بالإسلام، أضف إلى ذلك أن الفقهاء الإيرانيين كانوا أشدّ من غيرهم على الزنادقة وعلى مواجهة فكرهم (الإسلام وإيران، مطهري / ص ٣٠٨).

وبشأن المجون فإنه بدأ في التاريخ الإسلامي عندما اقتضت السياسة الأموية إيقاع أبناء المهاجرين والأنصار في اللهو ليشغلوهم عن المطالبة بالخلافة، فتدفقت الإماء الصنّاجات (العازفات) على المدينة المنورة وكانت أكثر بلاد المسلمين مخنثين ومغنين كما تذكر كل كتب التاريخ والأدب.

شاع في هذا العصر ـ كما هو معروف ـ فساد اجتماعي كان مبعثه انغماس الحكام وحاشيتهم في الخمرة والشهوات، وكان ذلك الوضع مرفوضاً من قبل الصالحين عربًا كانوا أم إيرانيين، ولا بأس من الإشارة إلى أن فقهاء العراق وجُلُّهم من الإيرانيين كانوا غير متسامحين في الغناء والمجون يقول أحمد أمين: «حتى لقد كان فقهاء الحجاز أوسع صدراً وأكثر تسامحاً في الغناء والمجون من أهل العراق. وقد رأينا قبلاً أنّ مالأهل العراق من تشدّد في الدين كان وليد الفرس» (فجر الإسلام/ ٧٧)

الحركات الاستقلالية

دخل الإسلام إيران عن طريق القلوب، وتعاون الإيرانيون مع العرب للقضاء على طاغوت إيران، فدخل الناس في دين اللّه أفواجاً، وتفاعلوا مع الدين المبين حتى نبغ خلال القرن الأول إيرانيون في مختلف علوم الدين واللغة العربية وآدابها.

ويظهر من الوثائق التاريخية أن العرب الذين دخلوا إيران إبان الفتح الإسلامي كانوا يحملون ـ بصورة عامة ـ روح الدعوة والهداية، وعلى أيديهم انتشرت اللغة العربية وعلوم الدين، وبسلوكهم الإسلامي اجتذبوا ملايين الإيرانيين ليكونوا جنوداً للإسلام بفكرهم وعلمهم وسيفهم. لكننا نلاحظ في فترة متقدّمة من الفتح سلوكاً منحرفاً من بعض الولاة، غير أن الخليفة عمر لم يكن يسمح لهذه الظاهرة بالاستمرار. وفي عصر الخليفة عثمان بدأ منحني أخلاق الولاة بالهبوط، فأثار سخط أهل البلاد المفتوحة. والإمام علي بعد تولّيه الخلافة سارع إلى تغيير مسار هذا الانحراف فأرسل إلى البلاد المفتوحة صلحاء الصحابة والتابعين ما أمكنه ذلك، ونقل عاصمته إلى الكوفة ليكون قريباً من الإيرانيين الذين يشكلون الغالبية العظمى من المسلمين غير العرب.

ولم تُثن الوسادة لعليّ، وبعد شهادته واستيلاء البيت الأموي

على الحكم عاث معظم الولاة الأمويين فساداً في الأرض، وتجبروا وطغوا وساموا الناس سوء العذاب، ولولا مرور الإيرانيين ـ ولو لفترة قصيرة ـ بتجربة الحكم الإسلامي وخاصة خلال سنوات حكومة عليّ، ووجود الدعاة العلويين بينهم، لارتدّوا عن الدين بسبب ما رأوه من مفارقات سلوكية لدى الولاة بشكل خاص، ولدى القبائل العربية التي بدأ الصراع القبلي بينها على أشدّه، بتأثير السياسة الأموية، وخاصة في خراسان.

وبمرور الأيام ازداد حنين الإيرانيين إلى الحكم العلوي وسخطهم على الحكم الأموي (لاعلى العرب). واستغل الثائرون ضد بني أمية هذه الروح لدى الإيرانيين، فجنّدوهم في ثوراتهم. ثم استطاع أبو مسلم الخراساني أن يجنّد أكبر عدد منهم تحت شعار «الرضا من آل محمد»، وتوجّه بهم إلى الشام فاستأصل شأفة الأمويين (تاريخ الإسلام، حسن عباس حسن ٢ / ١٤).

ويظهر من الوثائق التاريخية أن أبا مسلم الخراساني كان ذا شخصية قوية قيادية نافذة. فدخل في عواطف الإيرانيين وقلوبهم، وأصبح رمزاً لإنقاذهم من الظلم والطغيان وإعادة العدل العلوي وحكومة آل بيت رسول اللّه(ص) إليهم. لكن وثوب العباسيين على الحكم وسحقهم كل القيم الإنسانية من أجل السيطرة على الخلافة قد أصاب الإيرانيين بإحباط كبير، فلقد شاهدوا مقتل

أبي مسلم على يد المنصور، ثم بطش الخليفة العباسي بأقاربه وبمن وطّدوا له الحكم، ونكبة البرامكة، واقتتال الأمين والمأمون، ومحاربة العلويين ومطاردتهم، كل ذلك أبعد الخلافة عن كل قدسيّة في أذهان الناس عامة والإيرانيين بشكل خاص، وتحوّلت المسألة الإسلامية إلى مسألة صراع مصلحي على الحكم والسيطرة، وكانت هذه الصدمة هي أيضاً كافية لأن تحدث ردّة عن الإسلام لولا وجود الدعاة والمصلحين بين الإيرانيين وخاصة من آل بيت رسول اللّه(ص). وكان بإمكانها أن تعبئ جيشاً خراسانياً آخر نحو عاصمة الخلافة العباسية لولا اهتمام الخلفاء العباسيين بإغداق الأموال والجوائز على وجوههم وقوادهم (الطبري ٩ / ٣١٣) ، واستخدامهم في إدارة الجيش والحكم، والتظاهر بحب العلويين مثل تولية المأمون الإمام الرضا عهده، لكن هذا الاصطناع كلّه لم يمنع من ظهور حركات انتقام لمقتل أبي مسلم، ومحاولات انفصال عن الخلافة العباسية نشاهدها بكثرة ووضوح في عصر المأمون والمعتصم.

النصوص التاريخية تتحدث عن هذه الحركات بتحامل، وتنسب إليها عقائد منحرفة وأعمالاً مستهجنة، ومن المحتمل جداً أن يكون في ذلك كثير من الافتراء، لأنها تقوم على أساس روايات السلطة العباسية الحاكمة. لكننا لا نستطيع أن نُنَزِّه هذه

الحركات أيضاً، لأنها لم تكن موضع تأييد الصالحين من أبناء ذلك العصر.

بعد مقتل أبي مسلم تظهر فجأة جماعة الراوندية(حسن عباس حسن ١٠٤/٢) نسبة إلى راوند القريبة من إصفهان. ويقال إن زعيمها الأبلق تكلم بالغلوّ في علي والأئمة من ولده، ثم ظهرت جماعة المقنّعة في عهد الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ). بخراسان، وتدعو إلى تقديس علي بن أبي طالب وأبي مسلم الخراساني كما يقول المؤرخون. وفي عصر المأمون ثار بابك الخرّمي (وفيات الأعيان ١٠٨/٢) انتقاماً لأبي مسلم الخراساني واستمرت ثورته إلى زمان المعتصم.

وفي بداية حكم المعتصم ثارت جماعة المحمّرة بالجبل، وكانوا على نهج الخرّمية، فقاتلهم إسحق بن إبراهيم المصعبي (ممدوح أبي تمام) وقضى عليهم.

ويلاحظ أن الخلفاء العباسيين استعانوا بقادة إيرانيين للقضاء على هذه الثورات. غير أن بعض هؤلاء القادة أنفسهم أحسّوا بأنهم يقاتلون في سبيل خليفة لا يحظى بأية قدسيّة ولا يستحق أية مكانة دينية، فحاولوا أن يستقلّوا ببلدانهم عن الخلافة الإسلامية كما فعل عبد اللّه بن طاهر الذي استقل بخراسان وأسس الدولة الطاهرية فيها. غير أن بعض هؤلاء القادة أراد الإطاحة بالخلافة العباسية نحو ما فعل «المازيار» الذي لمع نجمه في أيام المأمون

وتولّى قسماً من طبرستان، ولكنه في أيام المعتصم ثار ضد الخلافة العباسية، ويقال أنه راسل بابك في هذا الأمر.

مثل مازيار «الأفشين»(وفيات الأعيان ١١١/٢) ، وهو من بلاد ماوراء النهر (خراسان الكبرى) قاد الجيوش في حرب عمورية، وأبلى بلاء حسناً في حرب بابك الخرمي، لكن المعتصم شك في نواياه الاستقلالية فقتله شرّ قتله بعد أن نسب إليه كل قبيح من العقائد والأعمال .

وكل هذه الأحداث في هذا العصر سجلها الشعر العربي خاصة قصائد أبي تمام.

ولعل الطاهريين أول من استقل عن الخلافة العباسية في إيران إبان هذا العصر، بعد أن شعروا أنه سينزل بهم ما نزل بالبرامكة وآل سهل وغيرهم من الإيرانيين الذين خدموا العباسيين. واستقلال الطاهريين كان عن الخلافة العباسيّة لا عن العرب. فقد ظلّ الطاهريون منشدّين إلى اللغة العربية وآدابها، وكانت مجالسهم حافلة بشعراء العربية وأدبائها. وحين دخل أبو تمام مجلس عبد اللّه بن طاهر في خراسان وجده حافلاً بالشعراء الذين طربوا وهاجوا وماجوا لدى سماعهم شعر أبي تمام في ابن طاهر. وعبد اللّه هذا يروى له شعر عربي رائع منه قوله:

نَحنُ قومٌ تليئُنا الحُدُقُ النُّجـ ـلُ علـى أَنّنا نُلينُ الحديدا

طوعَ أيدي الظِباء تَقتادُنا الغيـ ـدُ ونَقتادُ بالطعونِ الأسودا

(وفيات الأعيان ٨٣/٣) أي إن العيون النجلاء تليننا بينما نحن نلين الحديد. ونحن أمام الغيد منقادون مستسلمون يوجهننا أنّى شئن، بينما نحن نقود الأبطال الأسود في الحرب.

وهكذا بقية الدول التي استقلت في هذا العصر بإيران. ومنها الدولة السامانية (٢٦١ ـ ٣٨٩هـ) فالسامانيون ينتسبون إلى أسرة فارسية عريقة. أسسوا دولتهم في بلاد ماوراء النهر واتخذوا من بخارى عاصمة لهم. وشجع السامانيون الحركة الأدبية، وكان البلاط السامانى في بخارى ملتقى أرباب العلم والأدب حتى قال فيهم الثعالبي: «وكانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الارض وموسم فضلاء الدهر» (اليتيمة ٤/ ١٠١) وكانت مكتبة نوح بن نصر السامانى كما يقول ابن خلكان: «عديمة المثل، فيها من كلّ فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها، ولا يسمع باسمه فضلاً عن معرفته» (وفيات الأعيان ١٥٨/٢).

وكذلك الدولة الزيارية في طبرستان (٣١٦ ـ ٤٣٠هـ) كانت مركزاً هاماً للعلم والثقافة، وكان أحد أمرائها وهو شمس المعالى قابوس بن وشمگير يمتلك ناصية البلاغة واللغة العربية وعالماً بالفلك والنجوم.

ويجدر بنا أن نقف قليلا ـ ونحن نتحدث عن الدول المستقلة في هذا العصر بإيران ـ عند الدولة العلوية في طبرستان. فلقد مرّ القرن الهجري الأول دون أن يستطيع الفتح الإسلامي الوصول إلى الساحل الجنوبي لبحر الخزر حيث طبرستان وجرجان وجيلان.

وهذه المناطق محصنة بسلسلة جبال شاهقة وغابات كثيفة، ولذلك كانت مستقلة تقريباً عن الساسانيين وبعد الفتح الإسلامي استعصت على الفاتحين، وبقي أبناء هذه المناطق يسمون في القرن الأول بكفار الديلم.

ثم إن العلويين حين نزلت بهم المآسي منذ بدايات هذا العصر لم يجدوا ملجأ يلوذون به سوى هذه المناطق البعيدة عن سيطرة الخلافة. ولعلّ يحيى بن عبد اللّه أخو محمد النفس الزكية أول من لاذ بأهل هذه الديار، عرّفهم بنفسه، فتعاطفوا معه، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا بالتدريج، وتقاطر العلويون على هذه المناطق الآمنة، وتطورت الأحداث فطلبوا من الداعية الزيدي الفقيه العالم الحسن بن زيد، وكان مستتراً في الري، أن يقدم إليهم، فاستجاب لدعوتهم، وقادهم لإقامة الدولة العلوية في طبرستان سنة ٢٥٠هـ ، واستمرت هذه الدولة حتى سنة ٣١٦هـ . وكان زعماؤها جميعاً من العلويين العرب. ولا بأس من الإشارة إلى أن أسرة البويهيين، والشاعر مهيار، هم من أبناء الديلم هؤلاء.

موضوعات الساعة

نداء الإمام القائد
إلى حجاج بيت الله الحرام لسنة ١٣٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلي آله الأطيبين وصحبه المنتجبين

السلام على حجاج بيت الله، ضيوف بيت الحبيب، والملبين لدعوته.. وتحيات عطرة إلى القلوب الطرية النضرة بذكر الله المفتوحة أبوابها على فيضه العميم ورحمته السابغة. فخلال هذه الأيام والليالي والساعات الإكسيرية، ما أكثر أولئك الذين قدّروا الموقف حق تقديره فسلّموا أنفسهم إلى أجواء الانجذاب الروحي، لينوّروا صحائف قلوبهم وأرواحهم بالإنابة والتوبة؛ ويزيلوا صدأ الذنوب والشرك من وجودهم بالغوص في أمواج الرحمة الإلهية التي ماانفكت تتواصل في هذا الوادي المقدس. فسلام الله على هذه القلوب النبيهة وأصحابها الأطياب.

يجدر بجميع الإخوة والأخوات أن يفكروا في مثل هذا المكسب، وأن يغتنموا هذه الفرصة الثمينة، فلا يسمحوا لعلائق الحياة

المادية ـ التي تشكل همّنا المستمر ـ أن تشغل وتُلهي القلوب، وأن يطيروا بقلوبهم المتشوقة في فضاء التوحيد والقيم الروحية الأصيلة، مستعينين بذكر الله وبالإنابة والتضرع إليه، وبالعزيمة الراسخة على الصدق والاستقامة في العمل والتفكير، ليتزوّدوا بذلك، من أجل الصمود والمثابرة في سبيل الله والصراط المستقيم.

هنا مثابة التوحيد الحقيقي الخالص. هذا هو المكان الذي جاء فيه إبراهيم الخليل عليه السلام بفلذة كبده إلى المذبح، كي يسجل لجميع الموحدين على مرّ تاريخ العالم رمزًا للتوحيد، يتمثل في الغلبة على النفس والتسليم التام لأمر الله. وهنا المكان الذي رفع فيه سيدنا محمد المصطفى ـ صلى الله عليه وآله ـ راية التوحيد أمام المستكبرين وأصحاب المال والسلطة من أهل زمانه؛ واعتبر البراءة من الطاغوت ـ بجانب الإيمان بالله ـ شرطًا للنجاة والفلاح : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ... ﴾

إن الحج هو إعادة قراءة هذه الدروس العظيمة وتعلّمها. إن البراءة من المشركين ومن الأصنام وصنّاعها، تشكل الروح المسيطر على حج المؤمنين. إن الحج بكل مواقفه ومواقعه، يجسد حقيقة الخضوع لله والعمل في سبيله، والبراءة من الشيطان ورميه ورفضه والتصدي له. كما أن الحج بكل تفاصيله، يشكل رمز الوحدة

والتلاحم بين أهل القبلة، وانتفاء فوارقهم الطبيعية والاعتبارية، وتبلور وحدتهم الحقيقية وأخوتهم الإيمانية.

إنها دروس ، علينا ـ معشر المسلمين في كل أرجاء العالم ـ أن نتعلمها ونبرمج حياتنا ومستقبلنا على أساسها.

لقد أكد القرآن الكريم على الوقوف بقوة واقتدار أمام الأعداء، والتعامل بالعطف والمحبة بين المؤمنين، والعبودية والخشوع أمام الله، وذلك كمؤشرات ثلاثة للمجتمع الإسلامي :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ... فهذه الأركان الرئيسية الثلاثة هي من أجل بناء كيان الأمة الإسلامية المرتكز على العز والمجد.

على ضوء هذه الحقيقة، يمكن للمسلمين بجميع أفرادهم، أن يتعرفوا جيداً على ما يعانيه العالم الإسلامي وما يعتريه من مشاكل في الوقت الراهن.

إن عدو الأمة الإسلامية الغادر، يتمثل اليوم في الرؤوس المديرة للمراكز الاستكبارية والقوى ذات النزعة التوسعية والعدوانية ، ممن يعتبرون الصحوة الإسلامية تهديداً كبيراً لمصالحهم اللامشروعة وسيطرتهم الغاشمة على العالم الإسلامي. إنه على جميع الشعوب المسلمة ـ وفي مقدمتهم السياسيون وعلماء الدين والمثقفون والقادة الوطنيون في كل دولة ـ أن يشكلوا الصف

الإسلامي الموحد بالمزيد من القوة والصلابة أمام هذا العدو المعتدي. عليهم أن يجمعوا في أنفسهم كل عناصر القوة وأن يجعلوا الأمة الإسلامية قوية فعلا. إن التحلي بالعلم والمعرفة، والحكمة والتدبير واليقظة، والشعور بالمسؤولية والالتزام بها، والاتكال على الله والأمل في الوعد الإلهي، وغض الطرف عن المطالب التافهة الحقيرة أمام نيل رضا الله والعمل بالواجب، ... كل ذلك يعتبر العناصر الرئيسية لقوة الأمة الإسلامية واقتدارها، مما يحقق للأمة ما تصبو إليه من عزّ واستقلال وتقدم في المجالين المادي والمعنوي، ويفشل العدو في محاولاته التوسعية وتطاوله على الدول الإسلامية.

إن عنصر العطف والرأفة بين المؤمنين، يشكل الركن الثاني ويعتبر مؤشرًا آخر للحالة المنشودة للأمة الإسلامية. فإن نشوب الفرقة والصراع بين صفوف الأمة، يعتبر مرضًا خطرًا يجب العمل على علاجه بكل ما هو متوفر من قوة. لقد بذل أعداؤنا ـ ومنذ أمد بعيد ـ جهودًا كبيرة وحثيثة في هذا المجال. وإنهم قد زادوا من جهودهم اليوم، بعد أن أخافتهم الصحوة الإسلامية. كل ما يقوله المشفقون هو أنه يجب ألا تتحول الفوارق إلى تناقضات، ولا التعددية إلى صراع.

لقد سمّى الشعب الإيراني هذا العام عام الانسجام الإسلامي. وجاءت هذه التسمية بسبب وعيه بمؤامرات الأعداء المتصاعدة لبثّ

الخلاف بين الإخوة والأشقاء. هذه المؤامرات باتت فاعلة في كل من فلسطين ولبنان والعراق وباكستان وأفغانستان؛ حيث شهدنا أن بعض أبناء دولة مسلمة دخلوا في حرب وصراع ضد بعضهم الآخر، ويريقون دماء بعضهم . في جميع هذه الأحداث المُرّة المأساوية، كانت علائم المؤامرة واضحة ، ولم تبق يد العدو خافية من العيون الدقيقة والأبصار الحادة.

إن معنى الأمر القرآني المتمثل في : «رحماء بينهم» هو اجتثاث جذور هذه الصراعات. إنكم في هذه الأيام المباركة وخلال جميع مناسك الحج، تشاهدون المسلمين ـ من كل مكان ومن مذاهب مختلفة ـ وهم يطوفون حول بيت واحد، ويصلّون باتجاه كعبة واحدة؛ ويرجمون ـ جنبا إلى جنب بعضهم ـ رمز الشيطان الرجيم؛ ويتصرفون بنمط واحد عند ذبح الأضاحي كرمز للتضحية بالأماني والأهواء النفسانية؛ ويبتهلون إلى الله جنبًا إلى جنب سواء في عرفات أو في المزدلفة... إن المذاهب الإسلامية متقاربة إلى بعضها بنفس الدرجة في معظم الفرائض والأحكام والعقائد الرئيسية وأهمّها. وطالما الأمر كذلك، فلماذا تأتي العصبيات والأحكام الصادرة مسبقًا لتؤجج نار الفتنة بينهم، وتأتي أيدي العدو الآثمة لتصب الزيت على هذه النار التي تقضي على الأخضر واليابس؟

اليوم، هناك من يتذرع بحجج واهية ،وبدافع من الجهل وقصر النظر، ليرمي جماعة كبيرة من المسلمين بالشرك ويبيح دماءهم. إن هؤلاء يخدمون الشرك والكفر والاستكبار سواء أكان ذلك عن وعي أو من دون وعي. فكم شهدنا الذين اعتبروا احترام روضة النبي الأعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ ومشاهد الأولياء وأئمة الدين ـ عليهم السلام ـ شركًا وكفرًا، رغم كون ذلك تعظيمًا لأمر الدين والتدين؛ لكنهم بدورهم انخرطوا في خدمة الكفرة والظالمين وساعدوهم على تحقيق أهدافهم الخبيثة.

على العلماء الحقيقيين والمثقفين الملتزمين والقادة المخلصين أن يقوموا بمكافحة هذه الظواهر الخطرة.

إن أمر الوحدة والتلاحم في الصف الإسلامي يشكل اليوم فريضة حتمية يمكن انتهاج الطرق العملية المؤدية إليها بفضل تعاون العقلاء والمشفقين.

إن هذين الركنين الذين تقوم العزة عليهما ـ أي تحديد المواقع واتخاذ الموقف القوي الحاسم أمام الاستكبار من جهة، والتراحم والتقارب والتآخي بين المسلمين من جهة أخرى ـ عندما يقترنان بالركن الثالث، وهو الخشوع والتعبد أمام الربّ جل وعلا، فعندئذ ستتقدم الأمة الإسلامية مرحلة تلو الأخرى في نفس الطريق التي أدّت بمسلمي العهد الإسلامي الأول إلى ذروة العزّ والعظمة، وستتخلص الشعوب المسلمة من التخلف المُزري الذي فُرض عليها

خلال القرون الأخيرة. لقد بدأت تباشير هذه الحركة العظيمة في الظهور ، وتحركت تيارات الصحوة بشكل أو بآخر في كل أرجاء العالم الإسلامي. وتحاول وسائل إعلام العدو وعملاؤه الإيحاء بأن أي حركة تحررية أو مطالبة بالعدالة في أي بقعة من العالم الإسلامي مرتبطة بإيران أو بالتشيع؛ كما يحاولون أن يحمّلوا إيران الإسلامية الرائدة في حمل راية الصحوة الإسلامية بنجاح، مسؤولية الضربات التي يتلقونها في الساحة السياسية أو الثقافية من قبل غيارى الأقطار الإسلامية. إنهم يوجهون تهمًا من قبيل الانتماء لإيران أو التشيع إلى الملحمة البطولية التي سطرها حزب الله بما ينقطع نظيره خلال حرب الـ٣٣ يومًا؛ وإلى صمود الشعب العراقي المصحوب بالتدبير والحكمة والذي أدى إلى تشكيل مجلس وحكومة لم يكن المحتلون يريدونهما بهذه الشاكلة؛ وإلى ما أبدته الحكومة الشرعية في فلسطين والشعب الفلسطيني المضحّي من صبر وصمود يبعثان على الإعجاب؛ وإلى كثير من الحالات التي تمثل إرهاصات تجديد حياة الإسلام في الدول الإسلامية. إنهم يوجهون هذه الاتهامات لإرباك العالم الإسلامي ومنعه من اتخاذ موقف مؤازر موحد. إلا أن هذا الخداع لن ينجح في مواجهة السنة الإلهية القاضية بانتصار المجاهدين في سبيل الله وأنصار دينه.

إن المستقبل للأمة الإسلامية . وإن كل واحد منا ـ حسب مقدراته وطاقاته ومسؤوليته ـ يستطيع بدوره أن يساهم في تقريب أجل هذا المستقبل.

إن مناسك الحج، بالنسبة لكم أيها الحجاج السعداء، يمثل فرصة كبيرة لتستعدّوا أكثر من ذي قبل لأداء هذا الدين.

آملا أن يحالفكم التوفيق الإلهي وتشملكم دعوات سيدنا المهدي الموعود ـ عجل الله له الفرج ـ في تحقيق هذا الهدف العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الحسيني الخامنئي

٤ ذي الحجة لعام ١٤٢٨الهجري القمري

٢٤ من شهر آذر ١٣٨٦ الهجري الشمسي

إستكتاب للمؤتمر الدولي الحادي والعشرون للوحدة الإسلامية

تحت عنوان: ميثاق الوحدة الإسلامية نقد و مراجعة

نضع بين أيديكم مشروع ميثاق الوحدة الاسلامية راجين التكرم بتعميق المشروع عبر دراساتكم وبحوثكم في المحاور المقترحة التالية:

١ـ التطلعات المنظورة

أ. تقريب أخلاقيات الوضع الحالي الى أخلاقيات عصر الرسالة.

ب. تقريب العلاقات الراهنة بين المسلمين الى مستوى العلاقات بين أئمة المذاهب الإسلامية.

ج ـ توسيع نطاق التضامن ليشمل كل العالم الإسلامي بكل أقطاره ومذاهبه وأعرافه.

٢. وسائل تعزيز الصحوة الإسلامية وتعميقها وترشيدها.

٣ـ دراسة مجالات التقارب (العقائد، الفقه، الأخلاق، الثقافة والتاريخ)...

٤ـ وسائل تعبئة الطاقات المادية والمعنوية لإعلاء كلمة الله، ومجابهة التحديات:

أ. نشر ثقافة المقاومة

ب. تعميق الإحساس بالمسؤولية المشتركة

ج. تقوية الأمل بالمستقبل الموحد

و. تعميق الشعور بالعزة والكرامة

٥ـ القضاء على موانع التقريب والوحدة من قبيل:

(التعصب، والغلو، والتكفير، ونقل النزاع الى مرحلة الكفر والإيمان، ومؤاخذة الآخر بلوازم كلامه وهو ينكر الملازمة، والحوار اللامنطقي، والإساءة للمقدسات، وفرض المذاهب على الآخرين، والقيام بالإعمال الاستفزازية المثيرة للفتنة وغير ذلك).

٦ـ تنظيم مراكز متخصصة للحوار السليم في الشؤون الحياتية الإسلامية.

٧ـ إصلاح التعليم بكل مراحله لتعم ثقافة الوحدة والشعور بالعزة وتنتفي عوامل إثارة الفتن.

٨ ـ تنظيم الإعلام الإسلامي لنشر ثقافة الوحدة والتصدي للإعلام المعادي.

٩ـ إحياء المذاهب التربوية الملتزمة بالكتاب والسنة الشريفة.

١٠ـ نشر مذهب الاعتدال والوسطية والتوازن بشتى الوسائل.

١١ـ التصدي للمذاهب والاتجاهات المنحرفة.

١٢. تنظيم شؤون الفتيا لتصدر ممن هو أهل لها والتركيز على المجامع الفقهية.

مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد البشرية ومقتداها محمد النبي الأمين وآله الطاهرين وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

انطلاقًا من الإيمان بأن الإسلام أمانة في أعناق المسلمين، وعليهم الدفاع عنه وعن مقدساته.

وملاحظة لتأكيد الإسلام على الالتزام بكل ما يؤدي إلى الوحدة الإسلامية، ويقيم العلاقات الأخوية بين أبناء الأمة،

ويشيع المنطق العقلاني ولغة الحوار، ويحقق التعاون والتضامن والتآلف والمصالح العليا.

ونظرًا لأبعاد الهجمة الشرسة والواسعة لأعداء الأمة الإسلامية من قبيل الاستكبار العالمي والصهيونية على ثقافتها وقيمها، واستقلالها ومواردها وضرورة تعبئة كل الطاقات المادية والمعنوية لإيقاف العدوان، فإننا نحن العلماء والمفكرين الموقعين على هذا الميثاق بعد الاطلاع على الخطوات الكريمة التي اتخذها العلماء فيما سبق في مكة المكرمة وعمان والقاهرة وغيرها، نؤكد إيماننا والتزامنا العميق بالمبادئ والأصول والأساليب التالية كما ندعو الآخرين للالتزام بذلك:

الأسس:

أولا: الإسلام هو الدين الخاتم والسبيل الوحيد لعلاء الإنسانية وهو أمانة في أعناق المسلمين، عليهم تطبيقه في كل مناحي الحياة والذب عنه وعن حرماته ومقدساته، وعليهم تقديم المصلحة الإسلامية العليا على باقي المصالح.

ثانياً: إن الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان للشريعة، وسائر التعاليم الإسلامية، والمذاهب الإسلامية كلها تشترك في هذين المصدرين، وإن اعتبار المصادر الأخرى رهن بكونها مستمدة منهما.

ثالثًا: يُعدّ الإيمان بالأصول والأركان التالية ضابطًا للصبغة الإسلامية:

أ: الإيمان بوحدانية الله تعالى (التوحيد).

ب : الإيمان بنبوة وخاتمية الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن سنّته تمثل أحد مصدري الدين الرئيسين.

ج : الإيمان بالقرآن الكريم ومفاهيمه وأحكامه باعتباره المصدر الأول لدين الإسلام.

د: الإيمان بالمعاد.

هـ : عدم إنكار مسلمات الدين المتفق عليها والتسليم بأركان الإسلام كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد و...

رابعًا: شرعية الاجتهاد وحرية البحث: لقد أقر الإسلام الحنيف الاختلافات الفكرية عبر إقراره شرعية الاجتهاد في إطار المصادر الإسلامية، ولذا على المسلمين أن يعتبروا الاختلاف في الاجتهادات أمرًا طبيعيًا ويحترموا الرأي الآخر.

خامسًا: إن وحدة الأمة الإسلامية والحفاظ على مصالحها العامة مبدأ يمتلك أهمية كبرى وإن مبدأ الأخوة الإسلامية يشكل أساسًا عامًا لنوعية التعامل والتضامن بين المسلمين.

التطلعات:

سادسا: على العلماء والمفكرين:

١ـ السعي إلى جعل الوضع الذي يعيشه المجتمع الإسلامي المعاصر أقرب ما يكون إلى عصر الرسالة الأول، من حيث الأخوة الدينية والتعاون على البر والتقوى والوقوف صفاً واحداً أمام التحديات، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والابتعاد عن التفرق والتنازع وعن كل ما يؤدي إلى وهن المسلمين وفشلهم.

٢ - اقتداء الأتباع بسلوك أئمة المذاهب الإسلامية في التعامل بينهم وتوسيع نطاق العمل به بين أتباع المذاهب اليوم.

٣ -توسيع نطاق التضامن القائم حالياً بين بعض المذاهب الإسلامية ليشمل كافة المسلمين والمذاهب الإسلامية، وتقبّل عامة المسلمين للخلافات بين المذاهب والمنبثقة عن الاجتهاد المنضبط.

سابعاً: على العلماء والمفكرين تعزيز الصحوة الإسلامية وتعميقها وترشيدها وتحقيق التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية بغية تعرف بعضهم على البعض الآخر عن طريق تحقيق التآلف والأخوّة الدينية على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة.

مجالات التقارب:

ثامناً: تشمل مجالات التقريب الإسلامي بين المذاهب جوانب حياة أتباع هذه المذاهب كافة (العقائد والفقه والأخلاق والتاريخ).

الخطوات العامة:

تاسعاً: لتحقيق التقارب والوحدة تجب ـ بالإضافة لما سبق ـ ملاحظة الخطوط العامة التالية:

١ - ضرورة التعاون الكامل في الموارد التي يتفق المسلمون عليها.

٢ -تعبئة كل الطاقات المعنوية والمادية لإعلاء كلمة الله وتطبيق الإسلام باعتباره المنهج الأقوم لسعادة البشرية.

٣ -ضرورة اتخاذ موقف منسق وواحد في مواجهة أعداء الإسلام وخصوصًا في المسائل التي تهم كل الأمة الإسلامية كفلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها.

٤ -تجنب تكفير وتفسيق المسلمين الآخرين ورميهم بتهم مثل البدعة، علينا ـ باعتبارنا مسلمين مؤمنين بمشروعية الاجتهاد في إطار المصادر الإسلامية ـ أن نقبل مستلزمات هذا المبدأ وتبعاته حتى لو كان الرأي الاجتهادي خطأ في نظرنا، لذا يجب أن ننقل الاختلافات من مرتبة الكفر والإيمان إلى مرتبة الخطأ والصواب.

كما لا يجوز لأحد أن يكفر الآخر بسبب لوازم حديث أو رأي له يقود حسب رأينا إلى إنكار أصول الدين، مع أنه غير ملتزم بهذه اللوازم.

٥ -التعامل باحترام عند الاختلاف باعتبارها نتيجة لإقرار التعددية الاجتهادية في الإسلام.

٦ -عدم الإساءة إلى مقدسات الآخرين: حينما يوصي الإسلام بنوع من التحمل الديني وعدم الاستفزاز في علاقاته مع باقي الأديان ويطلب من المسلمين أن لا يسيئوا للمقدسات الفكرية والعقائدية الباطلة للآخرين، فمن الأولى أن يؤكد في إطار العلاقات بين المسلمين على مبدأ تجنب الإساءة لمقدسات أتباع المذاهب الإسلامية، وكذلك احترام أهل بيت رسول الله الطاهرين وأصحابه الميامين.

٧ -لا يجوز للمنظمات والحكومات أن تفرض على أحد مذهبًا دون غيره مستغلة حاجته وضعفه، بل تعترف بالمذاهب الإسلامية المعتبرة التي تقر الأسس السابقة، وتسعى لمنح أتباعها حقوق المواطنة.

٨ -حرية العمل بالأحكام الشخصية: فيما يتعلق بالمسائل الخاصة بالأمور الشخصية، فإن أتباع المذاهب الإسلامية يتبع كل منهم الأحكام الموافقة لمذهبه. أما ما كان مرتبطاً بالنظام العام فيجب أن تكون كلمة الفصل للقوانين المنصوص عليها في بلادهم.

٩ -دعا القرآن الكريم المسلمين إلى اعتماد مبدأ الحوار المنطقي مع الآخر بعيدًا عن التهويل والضوضاء وذلك من أجل بلوغ الحقيقة. ولذا يجب على المسلمين من باب أولى أن يتم حل اختلافاتهم عن طريق الحوار السليم ومراعاة آدابه المنطقية

والأخلاقية فيما بينهم والقيام بخطوات عملية في سبيل ذلك، وكذلك الاهتمام بالجانب العملي للتقريب وتجسيد هذه القيم في حياتهم.

١٠ -لا ندعو لإغلاق البحث في الجوانب التاريخية والعقدية والتشريعية المختلف فيها، ولكن يجب أن يترك البحث فيها للمتخصصين، بروح من الأخوة والموضوعية وتحري الحقيقة، ولذا ينبغي العمل على إيجاد مراكز للحوار العقدي والفقهي والتاريخي.

١١ -تعليم الدارسين في الحوزات والمراكز العلمية والجامعات فقه الوحدة الإسلامية وأدب الخلاف والمناظرة الهادفة والفقه والكلام والتفسير الموضوعي المقارن في جو من الاحترام المتبادل وعدم الانتقاص من الآراء الأخرى.

١٢ -إحياء المذاهب التربوية الملتزمة بالكتاب والسنة، باعتبارها وسائل لتخفيف النزعة المادية المغالية وللحماية من الاغترار بالمناهج السلوكية الطارئة المتجاهلة للمبادئ الإسلامية.

١٣ -اهتمام علماء المذاهب بنشر منهج الاعتدال والوسطية بشتى الوسائل العملية من لقاءات بينية، وندوات علمية متخصصة ومؤتمرات عامة مع الاستفادة من المؤسسات المعنية بالتقريب بغرض تصحيح النظرة إلى المذاهب العقدية والفقهية

والتربويـــة باعتبارهـــا منـــاهج متنوعـــة لتطبيـــق الإســـلام، وإن الاختلاف بينها هو اختلاف تنوع وتكامل، وليس اختلاف تضاد، وضـرورة تعمـيم المعرفـة بهـا وبخصائصـها ومزاياهـا والاهتمـام بأدبياتها.

١٤ -التصدي للمذاهب والاتجاهات الفكرية المغالية أو المفرّطة التي تتعارض مع الكتاب والسنة، فكما لا يجوز الإفراط لا يسوغ التفريط بقبول أية دعوة ولو كانت مريبة، ولابد من ملاحظة الضوابط السابقة للحفاظ على استحقاق اسم الإسلام.

١٥ -التأكيد على عدم مسؤولية المذاهب العقدية والفقهية والتربوية عن أي ممارسات خاطئة ترتكب باسمها من قتل للأبرياء وهتك للأعراض وإتلاف للأموال وغير ذلك، واتخاذ الإجراءات لمنع إنتاج ما يعمق الفرقة أو يصف بعض المسلمين بالكفر والضلال دون مسوغ شرعي متفق عليه. وكذلك العمل على حذف كل السلوكيات المستفزة والمثيرة للفتنة والبغضاء وتمزيق الأمة فإنه من الكبائر.

١٦ -يجب أن تقتصر الفتوى على المتخصصين العلماء بكتاب الله وسنة رسوله وما يتعلق بهما من علوم، العالمين بالفقه وأصوله، القادرين على استنباط الأحكام الشرعية من مظانها، العارفين بالموضوعات وأحوال الناس وأوضاع العصر (انتهى).

بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

اصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بيانًا استنكر فيه بشدة الأعمال الإرهابية في الأيام الأخيرة التي ارتكبتها بعض التيارات التكفيرية وهذا نص البيان :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، فإن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يستنكر ويدين بكل قوة الجرائم البشعة التي وقعت في اليومين الماضيين في الجزائر والعراق ولبنان، قتلاً للأبرياء وسفكاً للدم المحرم وإزهاقاً للأرواح التي حرّم الله تبارك وتعالى قتلها إلاّ بالحق.

إنه لما تنفطر له القلوب أن الناس لا يكادون يلتقطون أنفاسهم من هول مجزرة يُقتّل فيها ويذبَّح عشرات بل مئات الأبرياء من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، إلا ويفتحون أعينهم على مجزرة أخرى أبشعَ وأشنع، ثم تُلقي تهمتها أو يتبجح مرتكبوها بأنها جهاد في سبيل الله، كأنما كُتب على هذه الأمة أن يكون بأسها بينها شديداً، وأن يرجع أفرادها هؤلاء "كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض"، وهو ما حذّر منه النبي (ص) أشد التحذير.

ويزيد في فظاعة هذه الجرائم وفُحشها، أن ترتكب في الأشهر الحُرم التي حرَّم الله سفك الدماء فيها يوم خلق السماوات والأرض، وأحدثها تلك المجزرة الرهيبة التي ارتكبتها في الجزائر

في غُرّة شهر ذي الحجة الحرام، فئة لم تُبال بانتهاك حرمة الشهر الحرام، ولا حُرمة الأنفس البريئة، التي حرّم الله قتلها، وعدَّ قاتل نفس واحدة منها كأنما قتل الناس جميعاً، ثم أخذت تتبجّح بأنها أزهقت هذه الأرواح البريئة، وقتلت عدداً من العاملين في عدد من المنظمات الدولية، الذين دخلوا بلاد المسلمين، وأقاموا فيها بعهد الله وعهد المسلمين.. وفعلت كل ذلك بدعوى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فكانت من "الأخسرين اعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا."

وكما جرى ذلك في الجزائر جرى في عدد من مدن العراق الذي ابتلي ابتلاءين، ابتلاءً بالاحتلال الأجنبي الجاثم على صدره، وابتلاءً بهؤلاء الذين يمارسون فيه القتل والتفجير وإرهاب الآمنين دون أن يرقبوا في مؤمن إلاً ولا ذمة.

لقد أدان الاتحاد في بيانات عديدة سابقة تلك المقاتل التي تجري في العراق، وأهاب في كل مرة بالشعب العراقي أن يكون بأسه في مواجهة عدوه وأن يحافظ على دماء بعضه ومقدساته وحرمات بيوته وأفراده.

والاتحاد إذ يجدد هذا النداء يعلن براءته وبراءة الإسلام من جميع الجرائم التي ارتكبت وترتكب ضد الأبرياء العزّل وضد غير المقاتلين من الأجانب العاملين في المنظمات الدولية والمؤسسات الإغاثية والإعلامية وغيرهم ممن لا ناقة لهم، في دعم الاحتلال،

ولا جمل. ولايزال الاتحاد يأمل في أن يتغلب الباقون من أهل العقل والحكمة على ذوي الصوت العالي ممن يستحلون ما حرّم الله من الدماء والأموال.

والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يستنكر كذلك الجريمة البشعة التي راح ضحيتها العميد فرانسوا الحاج، مدير العمليات في الجيش اللبناني البطل ورفاقه الذين قضوا معه في هذه المجزرة الإجرامية. إن الجيش اللبناني وقيادته الوطنية، وقد كان العميد فرانسوا الحاج أحد أعمدتها الرئيسية قد وقفوا مواقف بطولية في مواجهة العدو الصهيوني خلال العقدين الأخيرين، ولاسيما في أثناء حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦.

والاتحاد يثق ثقة كاملة في أن الشعوب العربية في الجزائر والعراق ولبنان سوف تكون دائماً في صف الحق والعدل وفي مواجهة المخربين أياً كانت هويتهم ومهما تكن ادعاءاتهم. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾.

د. محمد سليم العوّا أ.د يوسف القرضاوي

الأمين العام رئيس الاتحاد ٤ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

منظمة المؤتمر الإسلامي والحركة العلمية

مقتطفات من كلمة البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمر المعرفة الأول/ دبي دولة الإمارات العربية المتحدة ٢٨ ـ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٧

.. دخلت البشرية في العقد الأول من الألفية الجديدة، في عصر مشحون بالجديد، زاخر بالتطورات المتلاحقة، تقودها قوة دافعة تقوم أساسا على المعرفة والتكنولوجيا الحديثة. وأصبح من يملك العلم والمعرفة اليوم، قادراً على أن يثبت ذاته، بل وأن يفرض هيمنته على من لا يملكها. وأضحى هناك ثمن فادح للجهل، تقابله مردودية مجزية للمعرفة. وأثبتت التجارب أن ثم ارتباطًا وثيق العُرى، بين مستوى العلم والمعرفة في بلد ما، ومستوى التنمية فيه، إذ أصبحا توأمين متلازمين، كما أكد الواقع المعاش أن لا تنمية ولا ازدهار في غياب حرية التفكير والإبداع بالتفاعل والتواصل مع الجهد العالمي.

ومن هنا أصبح أصحاب العقول والمبدعون ثروة قومية ينبغي رعايتها، والاعتناء بها، وإيجاد البيئة العلمية الضرورية لنموها ولازدهارها في موطنها الأصلي...

وقد قمنا ـ في منظمة المؤتمر الاسلامي ـ ونحن نعد للقمة الإسلامية الاستثنائية الثالثة التي عقدت في مكة المكرمة في شهر ديسمبر ٢٠٠٥، بتقييم علمي شامل لدور العلم والمعرفة في نماء

الأمم وازدهارها عبر العصور، وأكدنا أن الأمة الإسلامية، كانت سيدة العالم، عندما كانت الحاضنة الأولى للعلم والمعرفة. وخلص فريق ـ من أمثالكم ـ من العلماء والمفكرين المسلمين ومن أصحاب الرأي الراجح، ورجال الدولة والساسة ـ الذين ساهموا في الإعداد لتلك القمة ـ إلى خلاصات تتفق إلى حد بعيد مع الخلاصات التي اعتمدت عليها مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم لمحاورها الاستراتيجية لعملها في "النهوض بمسار التنمية المعرفية وتطوير التعليم، والارتقاء بالواقع الثقافي للأمة، وريادة الأعمال وخلق الوظائف".

وقد صدر عن تلك القمة برنامج عمل، يتم تنفيذه على مدى سنوات عشر للنهوض بالأمة الإسلامية من كبوة العجز الذي تعيشه، ويقوم ذلك البرنامج الإصلاحي الكبير على نظرة إسلامية جديدة لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، ويتناول المجال الفكري والسياسي، وتقوية عرى التضامن الإسلامي، والدعوة إلى الوسطية والحكم الرشيد وحقوق الإنسان.

ويقوم البرنامج في جانبه العلمي والتكنولوجي على تحسين وإصلاح مؤسسات التعليم ومناهجه وتشجيع برامج البحث والتطور عن طريق رصد نسبة ١٪ على الأقل من إجمالي الناتج المحلي لكل دولة لهذا الغرض، وتشجيع المؤسسات ومراكز البحوث الوطنية الحكومية والخاصة على الاستثمار في بناء القدرات

التقنية، ومراجعة أداء المؤسسات الجامعية في دول المنظمة. وتقوم المنظمة في هذا الإطار بمحاولة الرّقي بعشرين جامعة في العالم الإسلامي إلى مستوى الجامعات العالمية الـ ٥٠٠ المتميزة في العالم، واستيعاب المسلمين ذوي المؤهلات العالية داخل العالم الإسلامي، عن طريق استراتيجية شاملة للاستفادة من كفاءاتهم، وإنشاء جوائز للإنجازات العلمية المتميزة، ولم يغفل البرنامج أيضا موضوع النهوض بدور المرأة والشباب...

لقد آن للأمة الإسلامية أن تلحق بالركب المتسارع للحضارة العالمية الحديثة، التي كنّا من بناتها بجدارة. وقد تخلفنا عن كثير من محطات هذا الركب، وآخرها ثورة المعرفة والتكنولوجيا التي بدأت تخلق فجوة معرفية بين الأمم.

ويجب علينا أن لا نعيد ما وقعنا فيه عندما تأخر أسلافنا عن اللحاق بركب الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، الأمر الذي ما زلنا نعاني من نتائجه الوخيمة. ويكفي أن نشير إلى الحقائق التي كشفتها تقارير التنمية البشرية في العالمين العربي والإسلامي التي أعدتها منظمات دولية. ومن بين أكثر هذه الحقائق مرارة وإثارة للقلق ظاهرة تفشي الأمية والجهل في عالمنا، وتزايد نسبة عدد الأميين فيه اليوم عما كان عليه الحال خلال القرن الماضي. وتفيد تقارير المؤسسات المتخصصة لمنظمة المؤتمر

الإسلامي أن هناك ٣٦ دولة من دولها فيها أمية بنسبة تصل ما بين ٢٠ -٨١٪.

إن الوضع المعرفي في العالم الإسلامي - بصوره المتباينة - يوضح لنا المدى الكبير للطاقات الكامنة في مجتمعاتنا لأجل إحداث طفرة علمية. فبينما نجد دولة أوربية لا يزيد عدد سكانها عن أربعة ملايين نسمة تنشر مجلات علمية تقنية توازي ما يصدره ثلث دولنا، نجد في المقابل أن احد دول منظمة المؤتمر الإسلامي استطاعت في السنوات الأخيرة أن ترتقي على سلم النشر العلمي لتتجاوز العديد من الدول الأوربية لتصل إلى المرتبة ١٨، متقدمة بذلك لتصبح إحدى الدول العشرين الأوائل في فهرس الاستشهادات العلمية (Scientific citation index) الذي يُظهر بصورة رقمية موضوعية التراتب المعرفي لدول العالم كافة في الإنتاج العلمي المبتكر. وبذلك تكون هذه الدولة قد رفعت عدد هذه الاستشهادات العلمية بـ ٤٦ ضعفاً، وزادت في الوقت ذاته، عدد المنشورات العلمية بـ ٢٥ ضعفاً في ربع القرن الماضي.

وهذا ما يحدو بنا إلى إعادة النظر في واقعنا وامكاناتنا البشرية، والقيام بتحليل موضوعي بعيداً عن التأثيرات الإيديولوجية التي أسهمت في تشكيل النمط الثقافي في العالم الإسلامي، وصاغت المنظومة الفكرية والثقافية فيه في العصور الأخيرة، والتي أدت إلى تأخرنا عن اللحاق بالركب الحضاري، حيث لم تعالج بالقدر

الكافي ضرورة وضع المشروعات والبرامج التنموية الملائمة لدول العالم الإسلامي، وتم إهمال البحث العلمي، ومؤسسات التعليم المهني والمعاهد التقنية التي تمثل الحلقة الوسطية في بنية الإنتاج الصناعي والزراعي والتجاري.

لقد سبقنا إلى ما نطمح إلى تحقيقه من هذه المبادرة الكريمة دول وشعوب عديدة نجحت في اللحاق بركب الأمم المتقدمة، حري بنا أن نتدارس تجاربها، لنستخلص منها ما تنطوي عليه من إيجابيات، ونتجنب ما اعترى جهدها من أخطاء وسلبيات. فمعالم السبيل إلى النهضة المنشودة أضحت واضحة، ومتطلبات الوصول إليها أصبحت معروفة.

ومن أهم هذه المتطلبات:

العمل على إحداث إرادة التغيير الشاملة نحو الأفضل في كيان الأمة، وجعل ذلك مطلبًا إجماعيًا.

وضع دراسة شاملة لمفهوم مفصل للرسالة الإنسانية والعالمية التي تسعى المبادرة إلى طرحها للرقي بالأمة وبحضارتها.

تسخير الطاقات العقلية والفكرية إلى أقصى حد ممكن من أجل التفوق الحضاري.

تنمية الموارد والطاقات البشرية واستثمارها في مجال النهوض والتقدم باعتبار أن العقول هي رأس مال الأمة.

استخدام الحوافز القوية والدافعة إلى الإبداع والنهضة.

تجنيد أكبر قدر من الباحثين والخبراء والمبدعين، واستقطابهم من الشعوب الأخرى للعمل على ابتكار دراسات وبحوث مستحدثة أو تطوير الموجود منها.

بث روح التضحيات لدى الأجيال للحاق بأجيال الدول المتقدمة، وبث روح المسابقة لإنجاز الفتوحات العلمية.

تحديد مواضيع النهوض وتسخير العلوم والمعارف والتقنيات المبتكرة لتنفيذها في المجالات المرصودة لها.

تحديد الأولويات في مجالات التقدم، وتخصيص الميزانيات حسب الأولويات.

نحن أمة بدأت مسيرتها التاريخية بكلمة "أقرأ" و"علّم الإنسان ما لم يعلم"، وقامت على نهج طلب العلم والسعي إليه في مكامنه أينما كان. وأضحى لزامًا علينا اليوم أن نتجاوز هذه الأزمة.

اقتراحات الرئيس أحمدي نجاد
في خطبة الجمعة للعلامة فضل الله

قال العلامة السيد محمد حسين فضل الله في خطبة صلاة الجمعة، بمسجد الإمامين الحسنين (ع) في حارة حريك ببيروت: إن عملية الاستيطان في القدس وتشديد عمليّات الاغتيالات الإسرائيليّة للفلسطينيين من تداعيات مؤتمر أنابوليس .

كما أشار العلامة فضل الله إلى أسباب إصرار الكيان الصهيوني على حضور الدول العربية في مؤتمر انابوليس قائلا انّ إصرار إسرائيل على حضور الدول العربيّة في هذا المؤتمر انطلق من سببين: الأوّل دعم هذه الدول لأبي مازن في تنازلاته فيما يتعلّق بجملة من القضايا المصيريّة الحيويّة للشعب الفلسطيني، حيث لا يستطيع تقديم مثل هذه التنازلات من دون دعم عربي، والثاني: رصّ صفّ هذه الدول المسمّاة «معتدلة» ضدّ إيران.

وأضاف أنّ حضور الدول العربيّة لم يكن بمبادرة ذاتية أملتها خطّة حقيقية للسلام، قيل إنها جاءت بعد المساعي التي أكّدتها قرارات مؤتمر وزراء الخارجيّة في القاهرة، بل كان ـ في الحقيقة ـ بدعوة مشتركة من إسرائيل وأمريكا تهدف إلى دعم أبي مازن في تنازلاته...

وأضاف العلامة فضل الله أن المسألة الأخرى، تتمثل في تحذير "المعتدلين" العرب من الخطر الإيراني الأكبر، بحسب تعبير وزيرة خارجيّة العدوّ، فقد اتضح للعالم حرصَ إيران على إقامة أمتن العلاقات وأقواها مع الدول العربيّة، بما فيها مصر والأردن، وأنّ من يقف عائقاً أمام تعزيز هذه العلاقات هي الإدارة الأمريكية التي تسعى جاهدةً لمنع أيّ تكامل اقتصادي وسياسي وأمني بين إيران والدول العربيّة بعامة، وبين ضفّتي الخليج على وجه الخصوص. وأشار سماحته إلى حضور رئيس الجمهورية الإسلامية في اجتماع

قمة دول مجلس التعاون قائلا إن الاقتراحات التي تقدّم بها الرئيس أحمدي نجاد للقمّة لناحية تأسيس منظّمة للتعاون بين إيران ودول المجلس في مجالات الطاقة والاستثمار والمجالات العلميّة والاقتصاديّة والسياحيّة وغيرها، خطوةً متقدّمة لتعزيز علاقات الصداقة بين الجانبين، بما يؤكّد عمق العلاقة الإسلامية ويقطع الطريق على كلّ من يحاول وضع العصيّ في دواليب هذه العجلة والتي نعتقد أنّها ستواصل سيرها إلى الأمام على الرغم من مكائد الأعداء والمتضرّرين.

وإذا كان البعض يفسّر هذه الاقتراحات بأنّها من أجل تفادي الحرب الأمريكية على إيران، فإنّنا نعتقد أن هذا التحليل خاطئ؛ لأنّ بناء علاقات الصداقة التي أسست لها إيران كانت سابقةً على هذه التطوّرات، وخصوصاً علاقتها بالسعوديّة، في عمليّة تعاون متحرّكة على مستوى أكثر من قضيّة في العالم الإسلامي.

وتطرق العلامة فضل الله إلى الاوضاع في فلسطين قائلا إنّنا أمام كلّ ذلك، ندعو الشعب الفلسطيني بخاصّة، والعالم العربي والإسلامي بعامةٍ، إلى أن يدرسوا الأمور بروح المسؤوليّة، بما ينقذ القضيّة الفلسطينيّة، وأن يعرفوا جيّداً ـ انطلاقاً من التجارب الماضية والحاضرة ـ أنّ إسرائيل هي العدوّ، وأنّ أيّة دولة إسلاميّة ـ بما فيها إيران ـ لا يمكن أن تكون عدوّاً للعرب والمسلمين، ولا سيّما

للفلسطينيين الذين تلتزم مساعدتهم في قضيّة التحرّر في الوقت الذي أهمل قضيّتهم أكثر العرب والمسلمين.

واشاد بتصريح امين عام الجامعة العربيّة عمرو موسى، الذي تساءل فيه: «عما يجعلنا نتحدّث عن إيران ولا نتحدّث عن إسرائيل»، قائلا إنّ كلّ جهد نووي سلمي في إطار العضويّة في معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ومتّفقٍ عليه مع الوكالة الدولية للطاقة الذرّية، يعدّ أمراً مشروعاً ومقبولاً.

وانتقد الازدواجية التي تنتهجها أميركا والدول الأوروبية تجاه الدول الأخرى قائلا: إن الكيان الصهيوني لم يوقع حتى الآن على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، في الوقت الذي تملأ العالم صراخاً وضجيجاً ضدّ المشروع النووي الإيراني السلمي. واللافت في هذا المجال الحماس الفرنسي الهستيري لإصدار العقوبات الاقتصادية ضد إيران خضوعاً لأمريكا وإسرائيل.

وأشار الي تقرير الوكالات الاستخباراتية الأميركية بشان نشاطات إيران النووية قائلا إن الاستخبارات المركزيّة الأمريكية وجهت ضربةً سياسيّةً موجعة إلى إدارة الرئيس بوش، في تأكيدها أنّ إيران كانت قد أوقفت برنامجها النووي العسكري في خريف العام ٢٠٠٣، معتبرةً أن طهران أقلّ تصميماً اليوم على صنع قنبلة نووية، ومستبعِدةً أن تتمكّن إيران من صنع سلاحٍ نووي قبل العام ٢٠١٥، وأنّها حتّى الآن لم تستأنف ذلك...

وأضاف أن الموقف الأمريكي والأوروبي ولا سيّما البريطاني والفرنسي، هو موقف سياسي للضغط على إيران للخضوع لحملها على القبول بالشروط السياسية التي تفرضها الدول الكبرى، ولمنعها من الحصول على التطوّر العلمي في الجانب النووي، كجزءٍ من السياسات الغربيّة التي لا تريد للدول الإسلامية والعربيّة أن تحصل على الاستقلال العلمي في كل ما يتّصل بحاجات الناس في المنطقة العربيّة والإسلامية؛ لكي تبقى الحاجة إلى الغرب في الصغير والكبير، على خلفيّة أن يبقى المسلمون في حال فقر دائمٍ إلى الغرب وتبعية له.

وهذا ما ينبغي لدول المنطقة أن تفهمه جيّداً وتخطّط للتمرّد عليه؛ لأنّ الاستقلال هو استقلال الحاجات لا السياسات فحسب؛ بل إنّ هذا من ذاك.

وفي ضوء ذلك كلّه، فإنّ صناعة المستقبل تفرض علينا أولوية التركيز على بناء قاعدة التقدّم الحضاري العلمي وعلى التطوّر التقني، وعلى إعداد العلماء المتخصّصين في كلّ الاختصاصات الضروريّة للوصول إلى الدرجة العليا في حركة الحضارة في كلّ شؤونها.

وأكد العلامة فضل الله أنّ الأزمة اللبنانية كانت، ولا تزال، بالغة التعقيد داخليّاً وخارجيّاً، بحيث يكون تحميل طرفٍ بمفرده

مسؤوليّة الأزمة واستمرارها نوعاً من التبسيط السياسي الذي قد يزيد الأزمة تعقيداً والجدل إثارةً.

إنّنا نريد لكلّ اللبنانيّين ـ من كلّ الأطياف ـ ألا يعتبروا السلم الأهلي والعيش المشترك موقع اختلاف وتجاذب؛ فهما فوق الأحزاب والطوائف والأشخاص والاتجاهات، لا يجوز تالياً لأحد العبث بهما.

إن أعداء الإسلام الذين اجتمعوا على محاربته في مختلف البلدان، لم تفرّق بينهم مسافات الخلاف الداخلية أو الخارجية في محاولاتهم تدميره وتحويل أهله عنه بكل وسيلة لديهم ظاهرة أو خفية، اتفقوا وتوافقوا على كل هذا، وهم لا تجمعهم عقيدة صحيحة، ولا أخوّة إيمانية صادقة، ولا كتاب سماوي حق، ولا رسول كريم يؤمنون به، فوحدت بينهم عدواتهم للإسلام.

ونحن معشر المسلمين تجمعنا العقيدة الواحدة الحقّة، والكتاب الرباني العظيم، والرسالة النبوية الهادية الجامعة، فإن منا من يقوم بتصديع وحدة الأمة، وشقّ عصا المسلمين، وتغذية تفرقتهم وتمزيق جماعتهم، وتوسيع مسافة الخلاف والشقاق بينهم، وهو يظن بنفسه أنه ينصر ديناً، ويحمي يقيناً وينشر شريعة، وهو في الحقيقة لهذه المعاني قاصم، ولهذه الروابط ممزّق حاسم.

من استراتيجية التقريب لمنظمة الايسيسكو